سلسلة أخبار أجواد الصحابة

سعيد بن العاص رضي الله عنه

عُكَّةُ العسل

وبعض من أخبار أولاده وأحفاده

محمد شريف عدنان الصواف

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

سعيد بن العاص رضي الله عنه

محمد شريف عدنان الصواف - الرياض

٨٨ ص، ١٧X ٢٤ سم - (سلسلة أخبار أجواد الصحابة)

ردمك: ٨ - ٧٠٤ - ٢٠ - ٩٩٦٠م

١- سعيد بن العاص ٢- الصحابة والتابعون

أ- العنوان ب - السلسلة

ديوي ٩، ٢٣٩ ٢١/١٨٨٧

ردمك: ٨ - ٧٠٤ - ٢٠ - ٩٩٦٠م رقم الإيداع ٢١/١٨٨٧

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

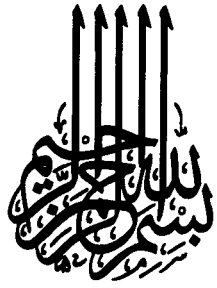

هذا الرجل

- أشرف الناس: أنا، وابن أمي، وسعيد بن العاص

عقيل بن أبي طالب

- كريمة قريش سعيد بن العاص

معاوية بن أبي سفيان

- كان أميراً، شريفاً، جواداً، ممدَّحاً، حليماً، وقوراً، ذا حَزمٍ وعقل، يصلحُ للخلافة.

الحافظ الذهبي

- كان من أشراف قريش جمع السخاء والفصاحة

الحافظ ابن عبد البر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين، الذي اصطفىٰ محمداً الهادي الأمين صلىٰ الله عليه وآله وصحبه أجمعين، وأرسل معه رسالة الإيمان والإسلام، والمحبة والسلام، فقام صلىٰ الله عليه وآله وسلم نذيراً وبشيراً، وداعياً إلىٰ الحق بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد بدأ الرسول الكريم بدعوة قومه كما أمره الله تعالىٰ بقوله: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وقوله ﴿ **أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [نوح: ١]. ولكن الله لم يشرح صدورهم للإيمان، ولم يلقَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم إلا كل جفوة، وغلظة، وإدبار، وتكذيب، واستهزاء، وكان الله قد هيأ لرسوله الكريم عمَّه أبا طالب يحميه من إيذاء قومه، وزوجه خديجةَ رضي الله عنها تبث فيه القوة والعزيمة، وتعينه علىٰ ما يلقاه. ثم ما لبث أن توفي أبو طالب وخديجة في عام واحد، وحزن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم عليهما حزناً كثيراً، واشتد إيذاء المشركين له بعد وفاة عمه، وكان صلىٰ الله عليه وآله وسلم يحضر مواسم العرب وأسواقهم يدعوهم فيها إلىٰ الإسلام، ويلقىٰ وفود القبائل التي تقصد البيت الحرام للحج أو العمرة فيعرض نفسه ودينه عليهم، ويطلب نصرتهم؛ كل ذلك وقريش يكيدون له ولأصحابه أشد أنواع الإيذاء والتعذيب، ورسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم لا يملُّ من دعوتهم ولا ييأس، حريصٌ علىٰ إيمانهم، راغبٌ فيما يسعدهم، حزينٌ أسفٌ

علىٰ صدودهم عما فيه سعادتهم وفلاحهم، وقد وصف تعالىٰ حاله صلىٰ الله عليه وآله وسلم خير وصف حين قال: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ١٢٨] وفي قوله﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ [الكهف: ٦]. وهو صلىٰ الله عليه وآله وسلم يطمع في إيمانهم، أو إيمان أولادهم، أو ذرياتهم، وخير دليلٍ علىٰ ذلك ما كان منه صلىٰ الله عليه وآله وسلم حين لجأ إلىٰ أهل الطائف يرجو عندهم الحماية والتأييد، فاستقبله أهلها شر استقبال، وآذوه أشد الإيذاء، وأراد الله أن ينصر نبيه فأرسل جبريل عليه السلام فقال له: قد سمع الله قول قومك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك بمَلَكِ الجبال، فسَلَّمَ عليه، ثم قال: يا محمد قد سمع الله قول قومك، وأنا مَلَك الجبال قد بعثني الله إليك لأأتَمِرَ بأمرك، إن شئتَ أُطبق عليهم الأَخْشَبَيْنِ. – جبلين حول مكة – فقال صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «**بل أرجو أن يُخْرج الله من أصلابهم من يعبدُ الله وحده، ولا يشرك به**».

وهكذا كان، فبعد صبر النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وجهاده في الدعوة إلىٰ دين الله؛ أهلك الله عتاة الكفر وطغاتهم، وأخرج من أصلابهم من آمن بالدين الحق، ونصره، وجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، وكان من أمثال هؤلاء خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وسعيد بن العاص، وأعمامه رضي الله عنهم.

وقد اخترت من هؤلاء سعيد بن العاص للحديث عنه، وذكر بعض أخباره، وذلك لأسباب عدة منها الجوانب المتعددة والغنية في حياته وشخصيته، ومنها عدم إفراده بالبحث والتأليف من قبل.

هذا، وأرجو أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى، وأن أكون قد وفقت فيه لإظهار جانب مشرقٍ من حياة الصحابة الكرام، وأخلاقهم رضي الله عنهم. والحمد لله ربِّ العالمين.

الفصل الأول
أسرة سعيد بن العاص في الجاهلية والإسلام

قبل البداية في الحديث عن سعيد بن العاص رضي الله عنه، لا بأس من مقدمة صغيرة نتحدث فيها عن أسرة سعيد، وآبائه، وشيء من أخبارهم في الجاهلية والإسلام.

فسعيد بن العاص ينتمي إلىٰ أسرة عربية أصيلة – بني أمية – عريقة في المجد والشرف، كان لها دور كبير، ومنزلة مرموقة في الجاهلية والإسلام.

فلقد كان بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أولاد عمومةِ بني هاشم ابن عبد مناف، وكانوا ينازعونهم المجد والشرف، ويشاركونهم في المفاخر والمكارم، وكانت الرفادة إلىٰ جدهم عبد شمس، قبل أخيه هاشم.

وكان جدُّ سعيدٍ، يدعىٰ سعيدَ بن العاص، أبا أحيحة، وكان يقال له: ذو العمامة لأنه كان في الجاهلية إذا لبس عمامته لم يلبس قرشيٌّ عمامةً حتىٰ ينزعها، وقيل إن هذا اللقب إنما لزم سعيداً كناية عن السُّؤدد، وذلك أنَّ العرب تقول للسيد: فلانٌ معمم؛ يريدون أنَّ كل جناية يجنيها الجاني من تلك القبيلة فهي معصوبة برأسه، وهو يتحملها، وإلىٰ ذلك ذهبوا في

تسميتهم لسعيد بن العاص: ذا العمامة، وذا العصابة[1]. وقد أدرك سعيد بن العاص الجدُّ الإسلام، وكان من عتاةِ المشركين، وهلك مشركاً قبل بدرٍ، وكان قد مرض فَنَذَرَ إن عافاه الله أن لايدع دين محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم يُعبد في مكة، فهلك في مرضه هذا[2].

وأمَّا والد سعيدٍ العاصُ وعمَّةُ عبيدة ولدا سعيد بن العاص فقد قُتِلا ببدرٍ مشركين.

ولكنَّ الله تعالىٰ أراد أن يُكرِم هذه الأسرة بإسلام باقي أفرادها فكان بقية أعمام سعيد بن العاص من السابقين للإسلام ومن جنوده المدافعين عنه، وإليك بعض أخبارهم:

خالد بن سعيد بن العاص:

كان رضي الله عنه من أوائل المسلمين، وكان بدء إسلامه أنه رأىٰ في المنام أنَّه وُقِفَ به علىٰ شفير نارٍ عظيمة مهولةٍ، ورأىٰ كأنَّ أباه يدفعه فيها، ورسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم يدفعه لئلا يقع، ثمَّ لقي أبا بكر رضي الله عنه، فذكر ذلك له، فقال له: أُريدَ بك خير؛ هذا رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فاتَّبعه، فإنك ستتبعه، وتدخل معه في الإسلام، والإسلام يحجزك عن النار فأسلم. وعَلِمَ أبوه بإسلامه، فَأَنَّبه علىٰ إسلامه، وضربه

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص ٤٥١.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٥.

حتىٰ كسر العصا علىٰ رأسه، وقال: والله لأمنعك القوت! فقال له خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني، فجعل خالدٌ يلازم رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم[1]، ومرض أبوه، فقال: لئن رفعني الله من مرضي هذا لا يُعبَدُ إله ابن أبي كبشة[2] ببطن مكة أبداً، فقال خالد بن سعيد: اللهم لا ترفعه من مرضه، فتوفي فيه[3].

وكان خالدٌ أوَّل من هاجر إلىٰ الحبشة في الهجرة الثانية[4]. وكان خالدٌ هو الذي زوَّج رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم من أمِّ حبيبة وهي في الحبشة بعد أن وكَّلته بأمر نفسها[5]. وبعثه رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم إلىٰ اليمن أميراً علىٰ صدقات زبيدٍ، ولمَّا جاء وفد نصارىٰ نجران إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم كان خالدٌ هو الذي يتولىٰ السفارة بينهم وبين رسول الله، وهو الذي كتب لهم عهدهم مع رسول الله ﷺ.

ولمَّا توفي رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم كان خالد وإخوته في اليمن، والبحرين، فلما قدموا كان المسلمون قد بايعوا أبا بكرٍ رضي الله عنه، فأقام ثلاثة أشهر لم يبايع أبا بكر ثمَّ بايعه.

---

(١) راجع البداية والنهاية ٣/٣٢ - والاستيعاب ١/٤٠١.

(٢) كانت قريش تدعو محمداً صلىٰ الله عليه وآله وسلم ابن أبي كبشة، وهو زوج حليمة السعدية التي أرضعته.

(٣) المستدرك للحاكم ٣/٣٤٩.

(٤) الطبقات لابن سعد ٤/٩٥.

(٥) البداية والنهاية ٤/١٤٣.

وكان أبو بكر معظِّماً لأمر خالد، ثم لـمَّا بعث الجنود إلى الشام عقد له عليهم، وجاء باللواء إلىٰ بيته، ثمَّ عزله وولَّىٰ يزيد بن أبي سفيان. وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلىٰ شرحبيل بن حسنة أحد الأمراء في جيش الشام فقال: انظر خالد بن سعيد، فاعرف له من الحق عليك مثل ما كنت تحب أن يعرفه لك من الحق عليه لو خرج والياً عليك، وقد عرفتَ مكانه من الإسلام، وأنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم توفي وهو له والٍ، وقد كنتُ ولَّيته، ثم رأيتُ عزله، وعسىٰ أن يكون ذلك خيراً له في دينه، فما أغبط أحداً بالإمارة، وقد خيَّرته في أمراء الأجناد فاختارك علىٰ غيرك، وعلىٰ ابن عمه، فإذا نزل بك أمرٌ تحتاج فيه إلى رأي التقي الناصح فليكن أول من تبدأ به أبو عبيدة، ومعاذ بن جبل، وخالد بن سعيد بن العاص، فإنك واجد عندهم نصحاً وخيراً، وإياك واستبداد الرأي عنهم أو تطوي عنهم بعض الخبر[1]. واستشهد خالد يوم أجنادين، ويروىٰ أن الذي قتله رأىٰ نوراً يخرج منه، فسأل عنه ثم أسلم[2].

عمرو بن سعيد بن العاص:

تأخر إسلام عمرو عن أخيه خالد بن سعيد، ولكنه كان من السابقين إلىٰ الإسلام، هاجر مع أخيه إلىٰ الحبشة في الهجرة الثانية، ثم عاد مع المهاجرين

(١) حياة الصحابة ٢/١١٧ - المعارف لابن قتيبة ص ٢٩٦.

(٢) راجع سير أعلام النبلاء ١/٢٦٠.

فوافوا رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم بعد بدرٍ بعام فحزنوا أن لا يكونوا شهدوا بدراً، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «**وما تحزنون؟ إن للناس هجرة واحدة ولكم هجرتان، هاجرتم حين خرجتم إلىٰ صاحب الحبشة، ثم جئتم من عند صاحب الحبشة مهاجرين إليَّ**»[1]. واستعمله رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم مع أخَوَيه علىٰ جباية الصدقات في اليمن، فلمَّا توفي رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم رجعوا عن أعمالهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله، ارجعوا إلىٰ أعمالكم فقالوا: لا نعمل لأحد بعد رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، ثم خرج مع جيوش الفتح إلىٰ الشام ومات هناك في أجنادين، وقيل في اليرموك[2].

أبان بن سعيد بن العاص:

تأخر إسلامه عن إسلام إخوته إلىٰ قبيل فتح مكة، واستعمله رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم علىٰ البحرين، ثم عاد مع أخويه بعد وفاة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، فقال له عمر: ما كان حقك أن تترك عملك بغير إذن إمامك. فقال له أبان: ما كنت عاملاً لأحد بعد رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، ولو كنت عاملاً لأحدٍ بعد رسول الله لعملتُ لأبي بكرٍ

(١) حياة الصحابة ١/٣٥٧.

(٢) حياة الصحابة ٢/٥٨ – المعارف لابن قتيبة ص ٢٩٦ – نسب قريش للزبيري ١٧٥– سير أعلام النبلاء ١/٢٦١.

لفضله، وسابقته، وقديم إسلامه، ولكني لا أعمل لأحدٍ بعد رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

ثم أراد عمر من أبي بكر أن يستكرهه علىٰ ذلك لثقته به، ولمخالطته لأهل البحرين، فأبىٰ أبو بكرٍ أن يُكْرِهَهُ، واستعمل مكانه العلاء بن الحضرمي. ثم خرج أبان مع جيوش الفتح إلىٰ الشام، واستشهد هناك في أجنادين.

وكان أبانٌ قبل أن يُسْلِم قد أجار ابن عمه عثمان بن عفان رضي الله عنه لـمَّا بعثه رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ليفاوض أهل مكة قبل صلح الحديبية، فخرج عثمان علىٰ راحلته حتى جاء عسكر المشركين، فعبثوا به، وأساؤوا له، فجاء أبان بن سعيد وأجاره، وحمله علىٰ السرج، ثم قال له: يا بن عم، مالي أراك متخشعاً؟ أسبل! – وكان إزار عثمان رضي الله عنه إلىٰ نصف ساقه – فقال له عثمان: هكذا إِزْرَة صاحبنا – يعني رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم – ثم قال له أبان: يا بن عم طُفْ بالبيت. فقال عثمان: إنَّا لا نَصنَع شيئاً حتىٰ يصنع صاحبنا، ونتبع أثره[1].

وهكذا فقد أكرم الله سبحانه وتعالى هذا البيت العريق في السؤدد والشرف في الجاهلية بالسبق إلىٰ الإسلام، ونصرته، وجمع لهم المجد والشرف في الجاهلية والإسلام.

(١) ابن سعد في الطبقات ١/ ٤٦١ – المعارف لابن قتيبة ص ٢٩٦– نسب قريش للزبيري ١٧٥ – سير أعلام النبلاء ١/ ٢٦١.

الفصل الثاني
أخبار سعيد بن العاص مع النبي ﷺ
ثم مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لقد كان من عادة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وأخلاقه إنزال الناس منازلهم، وإكرام الكرام منهم، وقد روي عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال في مرات متعددة: «**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**[1]» وروى سعيد بن العاص عنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم قوله: «**خياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية**[2]».

ولقد سبق معنا كيف أن أعمام سعيدٍ خالداً، وعَمراً، وأباناً كانوا من السابقين للإسلام، وكانوا موضع ثقة النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، ومن هنا فقد كان سعيدٌ مُقَرَّباً من رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وكان موضع تكريمه، ومما يدلُ علىٰ ذلك ما رواه المحدثون والمؤرخون من أنَّ امرأة جاءت رسولَ الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فقالت: إني نذرت أن أعطي هذا الثوب أكرم العرب، فقال صلىٰ الله عليه وآله وسلم: **أعطِه هذا الغلام**. يعني: سعيد بن العاص، وهو واقف قريباً منه [3].

---

(١) أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط، مجمع الزوائد ٨/١٥.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٩/٣٠٥.

(٣) أورد هذا الخبر ابن عساكر في المختصر ٩/٣٠٦، والحافظ المزي في تهذيب الكمال ١٠/٥٠٤، وابن حجر في الإصابة ٢/٤٨، وابن كثير في البداية والنهاية ٨/٨٤.

ولم يرو من أخبار سعيد بن العاص مع رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم غير هذه القصة، وتوفي صلىٰ الله عليه وآله وسلم وعُمر سعيد نحو تسع سنين [١].

وقد روىٰ عن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم مرسلاً، وعن عثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعائشة رضي الله عنهم، وأخرج له البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن حنبل [٢].

ولم يرو من أخبار سعيد مع أبي بكر رضي الله عنه شيئاً، أمَّا أخباره مع عمر رضي الله عنهما، فقد مرَّ معنا أنَّ أعمام سعيد خالداً، وعَمراً، وأباناً لم يكونوا علىٰ وفاق كامل مع عمر، وروي أنَّ عُمر رضي الله عنه مرَّ من أمام سعيدٍ وهو شابٌ فقال له: إني أراك كأنَّ في نفسك شيئاً مني، أراك تظنُّ أني قتلت أباك! ولكني لم أقتله، وإني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، لقد قتلتُ خالي العاص بن هشام بن المغيرة، أمَّا أبوك، فإني مررت به وهو يبحث بحث الثور برَوْقه [٣]، فحدتُ عنه، وقصد له ابن عمه علي فقتله. فقال له سعيد: لو قَتَلتَهُ لعلمتُ أنك علىٰ الحق، وأنَّه علىٰ الباطل [٤]. فأعجب

(١) الطبقات ٥/٣١ - تهذيب الكمال ١٠/٥٠٢.

(٢) تهذيب الكمال ١٠/٥٠٢.

(٣) بِرَوْقِه: بقَرْنِه. وسبق معنا أن أباه العاص قُتِل يوم بدرٍ مشركاً.

(٤) البداية والنهاية ٣/٢٩٠.

جوابه عمر، وجعل يضرب كفيه ويقول: أحلام قريش[1].

وحدَّث سعيد عن عمر أحاديث عن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وروىٰ عنه بعضَ الفقه، ومن ذلك ما رواه حفيده سعيد بن عمرو بن سعيد ابن العاص أنَّه سمع أباه يقول: سمعت أبي يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لولا أني سمعت من رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول: «**إنَّ الله سَيُعِزُّ هذا الدين بنصارىٰ من ربيعة علىٰ شاطئ الفرات**» ما تركت عربياً إلا قتلته، أو يُسلم[2].

وقد روي أنَّ عمر كان يُكرم سعيداً، ويسير معه في قضاء حاجته، وتوفي عُمَرُ وعُمْرُ سعيدٍ إحدىٰ وعشرون سنة.

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/٣٠٦ – الإصابة ٢/٤٧– الطبقات ٥/٣١ الأحلام: العقول.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٣٠٥.

الفصل الثالث
أخبار سعيد مع عثمان بن عفان رضي الله عنهما

يتبين لنا بوضوح من قراءة كتب التاريخ والسير أن سعيد بن العاص كان قريباً جداً من عثمان رضي الله عنهما، ويعود ذلك إلىٰ أسباب كثيرة أهمها ثلاثة أسباب؛ وهي:

١- كان عثمان رضي الله عنه ابن عم العاص والد سعيد، ومشهور أنَّ عثمان رضي الله عنه كان بارًّا بأهله وذويه، واصلاً لهم، وقد مرَّ معنا أن أبان ابن سعيد بن العاص عمَّ سعيد هو الذي أجار عثمان عندما دخل مكة.

٢- كان سعيد بن العاص عديلَ عثمان رضي الله عنهما فقد روىٰ المؤرخون أنَّ سعيد بن العاص تزوَّج من هند بنت الفرافصة بن الأحوص من بني كلب، فبلغ ذلك عثمان فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم؛ أمَّا بعد فقد بلغني أنك قد تزوَّجت امرأة من كلب، فاكتب إليَّ بنسبها، وجمالها.

فكتب إليه سعيد: أمَّا بعد؛ فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحوص، وجمالها أنها بيضاء مديدة القامة. فكتب إليه عثمان: إن كانت لها أخت فزوجنيها. فبعث سعيد إلىٰ الفرافصة يخطب إحدىٰ بناته لعثمان، فزوَّجه نائلة بنت الفرافصة[1].

---

(١) راجع الخبر في الأغاني ١٦/٣٢٢.

٣- ثمَّ تزوَّج سعيدٌ من بنتين من بنات عثمان رضي الله عنه، وهما: أمُّ عمرو، ومريم[١].

وهكذا فقد توافرت لسعيد أسبابٌ كثيرةٌ جعلته قريباً لعثمان، ودخل سعيد في رعاية عثمان منذ صغره، فقد قتل أبوه في بدرٍ مشركاً وهو دون السنة الثانية من عمره، وبقي سعيد قريباً من عثمان في الأحداث كافة، ثم لـمَّا تولىٰ عثمان رضي الله عنه الخلافة ولَّىٰ الوليد بن عقبة الكوفة، ثم عزله عنها لفسقه وولاَّها سعيد بن العاص، وكان سعيدٌ شاباً، وأهل الكوفة أهل شقاق وتمرُّد طالما عُرِف عنهم التمرُّد علىٰ ولاتهم، فلمَّا قدم إليهم الوليد اشتد عليهم وقسا، فشكوه إلىٰ عثمان، فعزله عنهم[٢].

وكان عثمان لـمَّا ولَّىٰ سعيداً الكوفة كتب إلىٰ أهلها يقول: بسم الله الرحمن الرحيم؛ أمَّا بعد، فقد كنت وليتكم الوليد بن عقبة غلاماً ذهب شرهه، وثابَ حلمه، وأوصيته بكم، ولم أوصكم به، فلما أعيتكم علانيته طعنتم في سريرته. **وقد وليتكم سعيد بن العاص، وهو خير عشيرته، وأوصيكم به خيراً؛ فاستوصوا به خيراً**[٣].

ويظهر من هذه الوصية مدىٰ محبة عثمان لسعيد، ومعرفته لقدره

---

(١) الطبقات لابن سعد ٥ / ٢٢.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩ / ٣٠٦ - الإصابة ٢ / ٤٧ - الطبقات ٥ / ٣١.

(٣) العقد الفريد ٤ / ٣٣٧.

وشرفه، ولـمَّا جاءه أهل الكوفة يشكون إليه سعيداً قال عثمان رضي الله عنه لهم: كلما رأىٰ أحدكم من أميره جفوة أرادنا أن نعزله؟![1].

وولي سعيد الكوفة لعثمان خمس سنين إلا أشهراً.

وكان سعيد بن العاص فارساً شجاعاً، فلما تولىٰ الكوفة غزا طبرستان وافتتحها، وغزا جرجان وافتتحها[2].

وعن ثعلبة بن زهدم قال: كنَّا مع سعيد بن العاص بطبرستان - يعني في غزوة لها - فقال سعيد أيُّكم صلىٰ مع رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم صلاة الخوف؟ فقال حذيفة: أنا. فصلىٰ بالناس[3].

وأتته هند بنت النعمان ملك المناذرة، وهو أميرٌ علىٰ الكوفة معها نسوة، فاستأذنت، فأذن لها، فدخلت، فأجلسها علىٰ فرشه. وكلمته في حاجات لها، فقضاها، فلما قامت قالت: أصلح الله الأمير، ألا أحييك بكلمات كانت الملوك تحيىٰ بهن قبلك؟ قال سعيد: بلىٰ. قالت: لا جعل الله لك إلىٰ لئيم حاجةً، ولا زالت المنَّة لك في أعناق الكرام، وإذا أزال عن كريم نعمةً فجعلك الله سبباً في ردِّها إليه[4].

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/٣٠٦.

(٢) تهذيب الكمال ١٠/٥٠٤ - نسب قريش ١٧٦ - الاستيعاب ٢/٦٢٢.

(٣) أخرجه أبو داود برقم (١٢٤٦) - والنسائي برقم (١٥٣٠).

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/٣١٦.

وكان الذي صنع أهل الكوفة بسعيد بن العاص أول وهنٍ دخل علىٰ عثمان، ولم يزل سعيد بعد رجوعه من الكوفة بالمدينة حتىٰ ثار الغوغاء علىٰ عثمان رضي الله عنه، وحاصروه، فلم يزل سعيد في الدار معه يلزمه فيمن يلزمه، ولم يفارقه؛ يقاتل عنه[1]، عن عبد الله بن ساعدة قال: جاء سعيد ابن العاص إلى عثمان بن عفان رضي الله عنهما، فقال: يا أمير المؤمنين إلىٰ متى تمسك بأيدينا؟! قد أكلنا هؤلاء القوم، منهم من قد رمانا بالنبل، ومنهم من قد رمانا بالحجارة، ومنهم شاهر سيفه، فمُرنا بأمرك، فقال عثمان له: إني والله ما أريد قتالهم، ولو أردت قتالهم لامتنعتُ منهم، ولكني أكِلُهم إلىٰ الله، وأكِلُ من ألَّبهم عليَّ إلىٰ الله، فإنَّا سنجتمع عند ربنا، ووالله ما آمرك بقتال.

فقال له سعيد: والله لا أسأل عنك أحداً أبداً[2]. ثم خرج فقاتل عنه[3].

وقال الواقدي: أصيبَ سعيد يوم الدار - وهو يدافع عن عثمان - بمأمومة[4]، فكان إذا سمع الرعد غُشيَ عليه[5].

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٣٠٨.

(٢) وهذه كناية عن أنه سيقاتل دفاعاً عنه حتىٰ يموت؛ لأنه لو بقي حياً، لا بد أن يسأل عن أخبار عثمان.

(٣) الطبقات لابن سعد ٥/ ٢٣ - حياة الصحابة ٢/ ٣٩٧.

(٤) المأمومة: الشجة التي بلغت أمَّ الرأس، وهي الجلدة التي قبل الدماغ.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٤٦.

ولـمَّا خرج طلحة، والزبير، وعائشة من مكة إلىٰ البصرة ليثأروا لعثمان؛ خرج معهم سعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، فلمَّا نزلوا مرَّ الظهران – ويقال: ذات عِرْق – قام سعيد بن العاص خطيباً، فحمد الله، وأثنىٰ عليه، ثم قال:

أمَّا بعد فإن عثمان عاش في الدنيا حميداً، وخرج منها فقيداً، وتوفي سعيداً شهيداً، فضاعف الله حسناته، وحَطَّ سيئاته، ورفع درجاته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

وقد زعمتم أنكم إنما تخرجون تطلبون بدم عثمان؛ فإن كنتم تريدون ذلك، فإنَّ قَتَلةَ عثمان على صدور هذه المطِي، وأعجازها، فميلوا عليهم بأسيافكم، وإلا فانصرفوا إلىٰ منازلكم، ولا تقتلوا في رضىٰ المخلوقين أنفسكم، ولا يغني الناسُ عنكم يوم القيامة شيئاً.

فقال مروان: بل نضربُ بعضهم ببعض، فمن قُتِل كان الظفر فيه، ويبقىٰ الباقي، فنطلبه وهو واهنٌ ضعيف.

فقام المغيرة بن شعبة، فحمد الله، وأثنىٰ عليه، ثم قال: إنَّ الرأي ما رأىٰ سعيد بن العاص، فمن كان يريد أن يتبعني فليفعل، فتبعه منهم أناسٌ حتى نزل الطائف، ومضىٰ سعيد بن العاص بمن اتبعه حتىٰ نزل مكة، ومضىٰ

طلحة، والزبير، وعائشة، ومروان بن الحكم إلىٰ البصرة ثم كانت وقعة الجمل، وقُتِل طلحة والزبير[١].

وبقي سعيد في مكة معتزلاً الفتن ولم يشترك في شيء من الحروب حتىٰ اجتمع المسلمون على معاوية، فقدم عليه[٢].

وهكذا فقد كان سعيد صادقاً في محبته لعثمان، وولائه له؛ قاتل عنه يوم الدار، ثم خرج مع الخارجين للثأر من قتلته، ولكنه رجع عن ذلك لـمَّا رأىٰ الأمر سوف يتحول إلىٰ فتنة تفرِّق شمل المسلمين، ثم لا يجتمعون بعدها، وليت بقية الخارجين للثأر لعثمان رجعوا مع سعيد وجنبوا المسلمين نتائج خطيرة، ومشاكل مازلنا نعاني منها حتىٰ يومنا هذا.

هذا، وقد أخذ سعيد عن عثمان رضي الله عنه أكثر علمه، وروىٰ عنه بعض الأحاديث عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد عن سعيد بن العاص أنَّ عثمان وعائشة رضي الله عنهما حدثاه أنَّ أبا بكر رضي الله عنه استأذن علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم وهو مضطجع علىٰ فراشه لا بسٌّ مِرط[٣] عائشة رضي الله عنها، فأذن صلىٰ الله عليه وآله وسلم له وهو علىٰ تلك الحالة فقضىٰ إليه حاجته، ثم انصرف، فاستأذن عمر رضي الله عنه، فأذن له وهو علىٰ تلك الحالة، فقضىٰ حاجته ثم

(١) مختصر تاريخ دمشق ٩/٣٠٩ - سير أعلام النبلاء ٣/٤٤٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/٤٤٦.

(٣) المِرط: كساء من صوف تلتحف به المرأة.

انصرف، قال عثمان : ثمَّ استأذنتُ عليه، فجلس، وقال لعائشة رضي الله عنها: «**اجمعي عليك ثيابك**». فقضيتُ إليه حاجتي ثمَّ انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله ما لي لا أراك فزعت لأبي بكر، وعمر كما فزعتَ لعثمان؟ فقال صلىٰ الله عليه وآله وسلم :«**إنَّ عثمان رجل حييٌ، وإني خشيتُ إن أذنت له علىٰ تلك الحالة أن لا يبلغ إلى حاجته**»[1].

ولـمَّا قام عثمان بمشروعه العلمي التاريخي العظيم، واستنسخ المصاحف من النسخة التي أمَرَ بكتابتها أبو بكر رضي الله عنه كان سعيد بن العاص علىٰ رأس اللجنة التي حملت هذه المسؤولية التاريخية، وكتبت هذه المصاحف[2]. وكان سعيد فصيحاً، وروىٰ ابن عساكر عن سعيد بن عبدالعزيز أنَّ عربية القرآن أُقيمت علىٰ لسان سعيد بن العاص لأنه كان أشبَهَ الناس لهجةً برسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

وعن محمد بن سيرين قال: جمع عثمان بن عفان لكتابة المصحف اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار؛ منهم: أُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وسعيد بن العاص[3].

وعن مصعب بن سعد أن عثمان بن عفان قال لـمَّا أراد نسخ المصاحف: من أفصحُ الناسِ؟ قالوا: سعيد بن العاص[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد، مجمع الزوائد ٩ / ٨١. (٢) سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٤٨.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩ / ٣١٠.

(٤) رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٩ / ٤١٤.

الفصل الرابع
أخبار سعيد بن العاص
مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

كان معاوية بن أبي سفيان ابن عم سعيد بن العاص، وكان يَكبره ببضع عشرة سنة، وقد سبق معنا كيف أن سعيداً اعتزل الفتن بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه قد بايع علياً رضي الله عنه، ولم يشترك مع معاوية في شيء من حروبه مع خصومه، وقد أحسن سعيد بذلك وجنَّب نفسه الخوض في دماء المسلمين وأعراضهم، ثم وفد سعيد علىٰ معاوية وهو أمير المؤمنين[1]. فعاتبه معاوية على بعده عنه، واعتذر إليه سعيد بجواب حسن؛ روىٰ المؤرخون أن سعيداً لـمَّا دخل علىٰ معاوية قال له معاوية كيف تركت أبا عبد الملك[2]؟.

قال: تركته منفذاً لأمرك، مصلحاً لعملك.

قال معاوية: إنه كصاحب الخبزة، كُفيَ إنضاجها، فأكلها!

قال: كلا يا أمير المؤمنين، إنه من قوم لا يأكلون إلاَّ ما حصدوا، ولا يحصدون إلاَّ ما زرعوا[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٤٤٥.

(٢) يعني مروان بن الحكم، وكان أمير معاوية علىٰ المدينة ومكة.

(٣) شهد سعيد هذه الشهادة بمروان بن الحكم علىٰ الرغم من خلاف كان بينهما، وهذا يدل علىٰ شرف نفسه، =

قال: فما الذي باعدَ بينك وبينه؟

قال: خِفتُه علىٰ شرفي، وخافني علىٰ مثله.

فقال معاوية: يا أبا عثمان - وهي كنية سعيد - تركتنا في هذه الحروب!

قال: غناؤك عني أبطأني عنك، وكنتُ قريباً لو دعوتني لأجبتك، ولو أمرتَ لأطعناك.

قال: ذاك ظننا بك، فأقبل معاوية علىٰ أهل الشام، فقال: يا أهل الشام هؤلاء قومي، وهذا كلامهم، ثمَّ وصله معاوية بهدايا وعطايا[١].

وكان معاوية قد همَّ بعزل المغيرة عن الكوفة، وتولية سعيد بن العاص عليها ثم عدل عن ذلك لـمَّا أغراه المغيرة بأخذ البيعة لولده يزيد بعده[٢]. ثمَّ ولاه المدينة لـمَّا عزل مروان بن الحكم عنها، ثمَّ ولاها مروان، ثم عزله، وولاَّها سعيداً ثمَّ عزله عنها وتوفي سعيد وهو أمير المدينة علىٰ أصح الأقوال[٣]، وولاّه إمارة الحج، فحجَّ بالناس سنة (٤٩) أو (٥٢)[٤].

= وكرمه حيث لم يستغل هذا الموقف أمام معاوية للانتقام من مروان، والتعريض به، وسيأتي في هذا الكتاب -إن شاء الله - من القصص ما يدل علىٰ عظيم أخلاق سعيد رضي الله عنه.

(١) العقد الفريد ١/٢٤٢.

(٢) الإمامة والسياسة: ١/١٨٧.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٩/٣٠٩.

(٤) الاستيعاب ٢/٦٢٢.

وروي أن سعيداً مرض وهو في الشام، فعاده معاوية، ومعه شرحبيل بن السِّمط، ومسلم بن عقبة المُرِّي، ويزيد بن شجرة الرَّهاوي، فلما دخل معاوية علىٰ سعيد ورآه سعيد وثبَ من فراشه إعظاماً لمعاوية، فقال له معاوية: أقسمت عليك أبا عثمان ألا تتحرك فقد ضعُفتَ، فلمَّا قام سعيد سقط من عِلته، فتبادر معاوية نحوه حتىٰ حنا عليه، وأخذ بيده، فأقعده علىٰ فِراشه، وقعد معه، وجعل يسائله عن علَّته، ومنامه، وغذائه، ويصِفُ له ما ينبغي أن يتوقاه، وأطال القعود معه، ثم لـمَّا ذهب وجَّه إليه بثلاثمئة ألف درهم[1].

وكان معاوية يُكثر أن يقول: لكل قوم كريم، وكريمنا سعيد بن العاص[2].

وسأل معاوية سعيداً مرَّة: كم وَلدُك؟

فقال سعيد: عشرةٌ، والذكران فيهم أكثر.

فقال معاوية: ﴿**وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ**﴾ [الشورى: ٤٩] كأنه يغبِطهُ علىٰ ذلك.

فأجابه سعيد يُذكرُه بنعمة الله عليه: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾**﴾ [آل عمران].

(١) العقد الفريد ١/٢٤٣.

(٢) تهذيب الكمال ١٠/٥٠٥.

وكان معاوية يرىٰ في سعيد بن العاص أنَّه أحد الذين يصلحون لخلافة المسلمين ورعاية شؤونهم، فعن قَبيصة بن جابر قال: بعثني زياد إلىٰ معاوية في حوائج، فلما فرغت منها قلتُ له: يا أميرَ المؤمنين: كل ما جئت له فقد فرغت منه، وبقيَت لي حاجة أصدرها في مصادرها. قال: وما هي؟ قلتُ: مَن لهذه الأمة بعدك؟ فقال: وما أنتَ من ذاك؟ فقلتُ: ولِمَ يا أميرَ المؤمنين؟ فـوالله، إنِّي لقـريبُ القـرابة، عظيم الشَّـرف، ناصح الجـيب، وادُّ الصَّـدر. فسكت ساعةً ثُم قال: بين أربعة من بَني عَبد مناف: كريمة قريش سعيد بن العاص، وفتىٰ قريش حَياءً ودهاءً وسَخاءً عبد الله بن عامر، وأمَّا الحسن بن علي فرجل سيِّد كريم، وأما القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله، الشَّديد في حُدود الله فمروان بن الحكم، وأما رجل نفسِه فعبد الله بن عمر، وأمّا رجل يَرِدُ الشَّريعةَ مع دواهي السِّباع، ويروغ روغان الثَّعلب، فعبد الله بن الزُّبير[1].

وتوفي سعيد بن العاص في خلافة معاوية في المدينة، فلما بلغه نعيه قال: ما مات رجلٌ ترك عَمراً[2].

(١) تهذيب الكمال ١٠/٥٠٥ - مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/٣٠٩، ٣١٠.

(٢) تهذيب الكمال ١٠/٥٠٩، ويعني عمرو بن سعيد، وسوف نذكر بعض أخباره في نهاية هذا الكتاب.

الفصل الخامس
أخبار سعيد بن العاص
مع بني هاشم وآل علي رضي الله عنهم

كان بين بني أمية – أسرة سعيد – وبين بني هاشم في الجاهلية تنافس وتنافر، وهم أبناء عمومة، وكان بنو هاشم أصحاب جود ومكارم، ثم جاء الإسلام فأعزَّ الله بني هاشم، فناصب بنو أمية العداء لدعوة الإسلام، وكان أكثر بني أمية من مُسلِمةِ الفتح، ومن الطلقاء[1].

ثمَّ كان بين بني أمية وبني هاشم قتالٌ وخصومة بعد مقتل عثمان، وخاصة في حروب علي مع معاوية رضي الله عنهما. ولقد سبق معنا كيف أنَّ سعيد بن العاص بايع علياً رضي الله عنه، وقد اعتزل هذه الفتن والحروب بعد مقتل عثمان،ولم يكن بينه وبين بني هاشم شيء من الخصومة، ولم يسجل له التاريخ موقفاً عدائياً منهم، بل علىٰ العكس تماماً كانت له – رضي الله عنه – مواقف كثيرة في برِّهم، وإكرامهم، والتقرب منهم.

ومن ذلك ما رواه الطبراني عن رِبْعي بن حِراش قال: استأذن عبد الله بن

(١) لم يسبق إلىٰ الإسلام من بني أمية إلاَّ عثمان بن عفان، وخالد بن سعيد بن العاص وأخوه عمرو رضي الله عنهم جميعاً.

عباس علىٰ معاوية رضي الله عنهم، وقد جلس عنده بطون قريش، وسعيد ابن العاص جالس عن يمينه، فلما دخل ابن عباس، قال معاوية: يا سعيد، والله لأُلقِيَنَّ علىٰ ابن عباس مسائل يَعْيَى بجوابها، فقال له سعيد: ليس مثل ابن عباس يعيىٰ بمسائلك[1].

ولا شك أنَّ مثل هذا الجواب من سعيد في مجلس عامٍ من مجالس معاوية كان يمكن أن يثير غضب معاوية علىٰ سعيد، ويجعله يحقد عليه، ويبعده، ولكن سعيداً آثر قول الحق، علىٰ ما يمكن أن يلقاه من معاوية.

وكان سعيد يؤثر علياً رضي الله عنهما، ويُجلُّه، ويكرِمُهُ، ومن ذلك ما حدَّث به محمد بن المنكدر قال: أهدى سعيد بن العاص هدايا لأهل المدينة، وقال لرسوله: لا تعذرني - يعني: لا تعتذر عني، وعن تقصيري في حق أحدٍ- إلا عند علي بن أبي طالب، وقل له: ما فضَّلتُ عليك أحداً في الهدية إلا أمير المؤمنين عثمان[2].

وكان بعض ولاة بني أمية يتحامقون فيسبون علياً علىٰ منابر الجمعة، وكان مروان بن الحكم يفعل ذلك عندما كان والياً لمعاوية على المدينة، ثم لما عُزِل وتولَّىٰ سعيد بن العاص كان لا يسبُ علياً[3].

---

(١) حياة الصحابة ١/٤٩.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٩/٣١٠ - سير أعلام النبلاء ٣/٤٤٧.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٩/٣١٣.

وكان سعيدٌ يحب الحسن والحسين وأراد أن يتقرب منهما، فخطب أمَّ كلثوم بنت علي بعد وفاة زوجها عمر بن الخطاب، وبعث إليها بمئة ألف، ولكنَّ الحسين رضي الله عنه أبىٰ أن يزوِّجه، فكره سعيد إغضابه، ولم يتزوَّجها.

ولمَّا مرض الحسن رضي الله عنه مرض وفاته[1] كان سعيدٌ يعُوده، ولمَّا توفي الحسن رضي الله عنه كان سعيد واليَ المدينة، فحضر سعيد ليصلي عليه، فقالت بنو هاشم: لا يصلي عليه إلا حسين، فاعتزل سعيد، ولم يُنازعهم في ذلك، وقال: أنتم أحق بميتكم، فإن قدمتموني تقدمت. فقال له الحسين: تقدم، فصلىٰ عليه[2]، ثمَّ أراد الحسين أن يدفنه قرب جده رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، فخلَّىٰ سعيد بينه وبين ذلك ولم يتعرض له، فجاءَه مروان بن الحكم، فقال له: ما أنت صانع في أمرهم؟ فقال له سعيد: لستُ حائلاً بينهم وبين ذلك، فثار مروان بن الحكم وجماعةٌ من الأموية، وكادت أن تقع في المدينة فتنة حتىٰ أقنع عبد الله بن جعفر الحسينَ أن يدفن أخاه في البقيع اتقاءً لفتنة تقع بين المسلمين[3].

روىٰ ابن عساكر قال: لمَّا مات الحسن بن علي بعث مروان إلىٰ معاوية

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٧/٤٣.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٩/٣٠٩، و ٧/٤٥.

(٣) مقاتل الطالبيين ١/٧٤، ومختصر تاريخ دمشق ٧/٤٢.

يخبره بذلك وبعث سعيد بن العاص رسولاً آخر يخبره بذلك، وكتب مروان يخبره بما أوصىٰ به حسن من دفنه مع رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وأنَّ ذلك لا يكون وأنا حيٌّ، ولم يذكر ذلك سعيد، فلما دفن حسن بن علي بالبقيع أرسل مروان بريداً آخر يخبره بما كان من ذلك، ومن قيامه ببني أمية ومواليهم، وأني يا أمير المؤمنين عقدت لوائي ولبسنا السلاح، وأحضرتُ معي من اتبعني،ألفي رجل، فلم يزل الله بمَنِّه وفضله يدرأ ذلك أن يكون مع أبي بكر وعمر ثالثاً أبداً، حيث لم يكن أميرالمؤمنين عثمان المظلوم رحمه الله، وكانوا هم الذين فعلوا بعثمان ما فعلوا: فكتب معاوية إلىٰ مروان يشكر له ما صنع، واستعمله علىٰ المدينة[1].

وكان عقيل بن أبي طالب يُجِلُّ سعيداً، ويعرف له قدره، وقد أثنىٰ عليه ثناءً حسناً، لـمَّا سأله ولده محمد بن عقيل بن أبي طالب فقال: إن قريشاً تفاخرني، وأردت أن أسألك عن أشرف الناس.

فقال له عقيل: أنا، وابن أمي – يعني علياً كرم الله وجهه – ثمَّ حسبك بسعيد بن العاص[2].

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٩/ ٣١٢.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٣٠٩ – تهذيب الكمال ١٠/ ٥٠٤.

الفصل السادس
جوده رضي الله عنه، وبعض ما روي عن أخلاقه

أولاً - أخباره في الجود والسخاء:

لم يكن بنو أمية يعرفون في الجاهلية بالسخاء، ولقد وصفت هند بنت عتبة زوجها أبا سفيان فقالت: إن أبا سفيان رجلٌ شحيح[1]. ولكن ذلك لا يَعدم أن يخرج منهم الأجواد والأسخياء، وحسبُ بني أمية من الأجواد عثمان بن عفان، وسعيد بن العاص رضي الله عنهما، ولعل سعيداً إنَّما تعلَّم الجود والسخاء من ابن عمه عثمان، وقد ذكرنا أنه نشأ في حجره ورعايته.

وهكذا فقد كان سعيد بن العاص من أجواد العرب والإسلام؛ قال ابن عبد ربه في العقد الفريد: أمَّا أجواد أهل الإسلام فأحد عشر رجلاً في عصرٍ واحدٍ لم يكن قبلهم، ولا بعدهم مثلهم:

ولقد كان عقيل بن أبي طالب عالماً بأنساب قريش وأيامها، وكان من الذين استعان بهم عمر رضي الله عنه حين دوَّن الدواوين وصنف الناس على حسب منزلتهم، وشرفهم، وسابقتهم في الإسلام.

ولعل سعيد بن العاص كان الوحيد من بني أمية الذي كان يقف هذا الموقف الكريم، والجليل من بني هاشم وآل علي رضي الله عنهم، وهذا يدلُ

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٤٩).

علىٰ شرفِ نفسه، وعظيم خُلُقِه، ومعرفته بأقدار الرجال، وعدم حسده لهم علىٰ ما آتاهم الله من فضله، وهذا هو شأن المؤمن الصادق الإيمان.

فأجواد الحجاز ثلاثة: عبد الله بن جعفر، وعبيد الله بن عباس، وسعيد ابن العاص[1].

وشهد له رضي الله عنه كل من روىٰ أخباره بكثرة البذل والعطاء، وكان يقول: اللهم إن كانت الدنيا لها عندي سطرٌ فلا تجعل لي خطاً في الآخرة[2]. ورويت عن جوده الأخبار الكثيرة وإليك بعضاً منها:

روي أن معاوية قال لسعيد بن العاص لـمَّا قدم عليه بعد أن استتب له الأمر: أخبرني عن مالك، فقد نُبئت أنك تتجر فيه. فقال سعيد: يا أمير المؤمنين لنا مال يخرج لنا منه فضلٌ، فإذا كان ما خرج قليلاً، أنفقناه علىٰ قِلَّتِه، وإن كان كثيراً لا ندَّخِرُ منه شيئاً عن مُعسرٍ، ولا طالبٍ، ولا مستحملٍ، ولا نستأثر منه بفلذة لحم، ولا مُزغة شحمٍ.

قال معاوية: فكم يدوم لك هذا؟

قال: من السنة نصفها.

---

(١) وأجواد البصرة خمسة: عبد الله بن عامر بن كُريز، وعبيد الله بن أبي بكرة، ومسلم بن زياد، وعبيد الله بن معمر القرشي التميمي، وطلحة الطلحات؛ وهو عبد الله بن خلف الخزاعي. وأجواد أهل الكوفة ثلاثة: عتَّاب ابن ورقاء، وأسماء بن خارجة الفزاري، وعكرمة بن ربعي الفياض. العقد الفريد ١/٢٣٨.

(٢) العقد الفريد ١/١٩٣.

قال: فما تصنع في باقيها؟

قال: نجدُ من يسلفنا، ويسارع إلىٰ إعانتنا.

قال: ما أحدٌ أحوج إلىٰ أن يصلح من شأنه منك.

قال: إنَّ شأننا لصالح يا أمير المؤمنين، ولو زدت في مالي مثله ما كنت إلا بمثل هذه الحال. فأمر له معاوية بخمسين ألف درهم، وقال له: اشتر بها ضيعةً تستعين بِغَلَّتِهَا علىٰ مروءتك.

فقال سعيد: بل أشتري بها حمداً، وذكراً باقياً. أُطعِمُ بها الجائع، وأزوج الأيم، وأفك بها العاني، وأواسي بها الصديق، وأصلحُ بها مال الجارِ.

فقال له معاوية: ما فضيلة بعد الإيمان هي أرفع في الذكر، ولا أَنْبَهُ في الشرف من الجود، وحسبك أن الله تبارك وتعالىٰ جعل الجود أحد صفاتك.

فلم تأت علىٰ سعيد ثلاثة أشهر، وعنده من ذلك المال درهم[1].

ومرض سعيد وهو بالشام فعاده معاوية ومعه شرحبيل بن السِّمط، ومسلم بن عقبة المُرِّي، ويزيد بن شجرة الرَّهاوي، فلمَّا خرج معاوية من عنده التفت إلىٰ شرحبيل ويزيد فقال: هل رأيتما خللاً في حال أبي عثمان؟

فقالا: ما رأينا شيئاً ننكره.

فقال لمسلم بن عقبة: ما تقول أنت؟

(١) العقد الفريد ١/٢٤٣.

فقال مسلم: رأيت علىٰ حَشَمِه ومواليه ثياباً وسخةً، ورأيت صحن داره غير مكنوس، ورأيت التُجَارَ يخاصمون خادمه.

قال معاوية: صدقت؛ كل ذلك قد رأيتُهُ، ثم وجَّه إليه مع مسلم بثلاثمئة ألف، فسبق رسولٌ يُبشِّرهُ بذلك، ويُخبره بما كان، فغضب سعيدٌ، وقال للرسول: إنَّ صاحبك[1] ظنَّ أنه أحسن فأساء، وتأوَّل فأخطأ، فأمَّا وَسَخُ الحشَم، فمن كثرة حركتهم وعملهم، وأمَّا كنس الدَّار، فليست أخلاقنا أخلاق من جعل داره مرآته، وزينَتَهُ لبسه ومعروفه عِطَره، ثمَّ هو لا يُبالي بمن مات هزلاً من ذي لُحمة، أو حُرمةٍ، وأمَّا منازعة التجار لخادمي، فمن كثرة حوائجه، وبيعه وشرائه لم يجد بُدًّا من أن يكون ظالماً أو مظلوماً، وأمَّا المال الذي أمر به أمير المؤمنين، فَوَصَلَته كلُ ذي رحم قاطِعَةٌ، وقد قَبلنَاه، وأمرنا لصاحبك بمئة ألف، ولشرحبيل بمثلها، وليزيد بمثلها. فركب مسلم ابن عقبة إلىٰ معاوية فأعلمه، فقال: صدق ابن عمي فيما قال، وأخطأتَ فيما انتهيت إليه[2].

ومن جوده ما حكاه الأصمعي؛ قال: كان سعيد بن العاص يَسْمَرُ مع سُمَّاره إلىٰ أن ينقضي حينٌ من الليل، فانصرف عنه القوم ليلةً، ورجلٌ قاعدٌ لم يَقُم، فأمرَ سعيد بإطفاء الشمع، ثم قال له: ما حاجتُكَ يا فتىٰ؟ فذكر أن

(١) يعني: مسلمَ بن عقبة.

(٢) العقد الفريد ١/٢٤٣.

عليه ديناً أربعة آلاف درهم، فأمر له بها. وكان إطفاؤه للشمعة أعظم من عطائه[1].

واضطرَّ جاره محمد بن الجهم فأراد أن يبيع داره فلمَّا اتفق مع الشاري علىٰ خمسين ألف درهم، وحضر الشهود ليشهدوا قال: بكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص، وكانت الدار في جوار سعيد، فقالوا: وهل يباع الجوار ؟! فقال: وكيف لا يُباع جوار من إن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتداك، وإن أسأت إليه أحسن إليك؟! فبلغ ذلك سعيداً فوجَّهَ إليه بمئة ألف درهم، وقال له أمسك عليك دارك[2].

وكتب زياد إلىٰ سعيد بن العاص يخطب إليه ابنته، وبعث إليه بمال كثير وهدايا؛ فلما قرأ الكتاب أمر حاجبه بقبض المال والهدايا، وأن يقسمها بين جلسائه؛ فقال الحاجب: إنها أكثر من ظنك. قال سعيد: أنا أكثر منها!

وكان سعيد بن العاص والياً لمعاوية علىٰ المدينة. فأصاب الناس سنة فأقحطوا، فأطعمهم سعيد حتىٰ أنفق ما في بيت المال، وادَّان. فكتب إلىٰ معاوية، فغضب وقال: لم يرضَ أن أنفق مالنا حتىٰ ادَّانَ؟ فعزله[3].

---

(١) العقد الفريد ١/٢٤٣. ولقد أمر سعيد بإطفاء الضوء حتى يسأل الرجل حاجته دون حرج أو شعورٍ بالذُلِ في طلبه، وهذا من عظيم وكريم فعله رضي الله عنه.

(٢) المستجاد من فعلات الأجواد ١٥٣.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/٣١٥.

وعن سفيان بن عيينة أنَّ سعيد بن العاص كان إذا سأله سائل فلم يكن عنده شيء قال: اكتب عليَّ سِجلاً إلىٰ يوم ميسرتي[1]، ولـمَّا توفي سعيد جاء فتىٰ من قريش إلىٰ ولده عمرو بن سعيد ومعه أديم بعشرين ألف درهم له علىٰ سعيد بن العاص بخط مولىٰ سعيد علىٰ نفقاته، وشهادة سعيد علىٰ نفسه بخطه، فعرف خطَّ المولىٰ وخط أبيه، وأنكر أن يكون للفتىٰ - وهو صُعلوك من قُريش - هذا المال، فأرسل إلى مولىٰ أبيه، فدفع إليه الصَّكَّ، فلما قرأه المولىٰ بكىٰ ثم قال: نعمْ أعرفُ هذا الصَّكَّ، وهو حق، دعاني مولاي فقال لي وهذا الفتىٰ عنده علىٰ بابه معه هذه القطعة من الأديم: اكتب، فكتبت بإملائه هذا الحق، فقال عَمْرو: وما سبب مالك هذا؟ قال: رأيته وهو معزول عن ولايته يمشي وحده، فقمت فمشيتُ معه، حتىٰ بلغ داره، ثم وقف، فقال: هل لك من حاجةٍ؟ فقلت: لا، إلا أني رأيتُكَ تمشي وحدكَ، فأحببتُ أن أصلَ جنَاحَك. فقال: وصلتك رحمٌ يا بن أخي. ثم قال: ابغني قطعة أديم، فأتيتُ جزّاراً عند باب داره، فأخذتُ منه هذه القطعة، فدعا مولاه هذا فقال: اكتب. فكتب وأملاه، وكتبَ فيه شهادته علىٰ نفسه، ثم دفعه إليَّ وقال: يا بن أخي، ليس عندنا اليوم شيء، فخذ هذا الكتاب، فإذا أتانا شيء فأتنا به إن شاء الله. فمات - رحمه الله - قبل أن يأتيه شيء. قال عَمْرو: لا جَرَم، لا تأخذها إلا وافيَةً[2].

(١) تهذيب الكمال ١٠/٥٠٧ - مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/٣١٣.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٣١٨.

وعن الأصمعي عن أبيه؛ قال: كان سعيد بن العاص يدعو إخوانه وجيرانه في كل جمعة، فيصنع لهم الطعام، ويخلع عليهم الثياب الفاخرة، ويأمر لهم بالجوائز الواسعة، ويبعث إلىٰ عيالهم بالبر الكثير، وكان يوجِّه في كل ليلة جمعة مولىٰ له فيدخل المسجد الكبير في الكوفة، ومعه صرر فيها دنانير، فيضعها بين يدي المصلين[1].

واستسقىٰ سعيد بن العاص من دار بالمدينة، فسقوه، ثم حضر صاحب الدار في الوقت مع جماعة، فعَرضَ الدار علىٰ البيع، وكان عليه أربعة آلاف دينار، فبلغه أن صاحب الدار يريد بيع داره، فقال لغلام له: لِمَ يبيع هذا الرجل داره؟ فقال: عليه أربعة آلاف دينار دينٌ. قال سعيد: إنَّ له لحرمة وذِماماً علينا، لسَقيه إيانا. فركب إليه فقال له: السلام عليك، وقال لغريمه: كم لكَ عليه؟ قال: أربعة آلاف دينار. قال: أترضىٰ بضمانها؟ قال: نعم. قال له: فَمُر وهي لكَ علي، وقال لصاحب الدار: استمتع بدارك[2].

وأتىٰ أعرابي سعيدَ بن العاص فسأله شيئاً، فقال: يا غلام، أعطه خمس مئة، فذهب، ورجع فقال: خمس مئة درهم، أم خمس مئة دينار؟ فقال سعيد: ويحك ما أردتُ إلا الدراهم! فإذا توهمت الدنانير فأعطه الدنانير. قال: فقبضها الأعرابي، ثم جلس يبكي؛ فقال له سعيد: ما يبكيكَ أليس

(١) تهذيب الكمال ١٠/٥٠٦ - مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/٣١٣.

(٢) مختصر تاريخ ابن عشاكر ٩/١١٤- تهذيب الكمال ٥٠٤، ٥٠٥.

قد قضىٰ الله حاجتك؟ قال: بلىٰ، ولكن أبكي علىٰ الأرض تأكل مثلك[١].

وقدم أعرابي المدينة يطلبُ في أربع ديات حملها، فقيل له: عليك بحسن بن علي، عليك بعبد الله بن جعفر، عليك بسعيد بن العاص، عليك بعبيد الله بن العباس. فدخل المسجد، فرأىٰ رجلاً يخرج ومعه جماعة، فقال: مَنْ هذا؟ فقيل: سعيد بن العاص. فقال: هذا أحد أصحابي الذين ذُكِروا لي. فمشىٰ معه، فأخبره بالذي قدم له، ومَنْ ذُكِر له، وأنه أحدهم، وهو ساكت لايجيبه. فلما بلغ باب منزله قال لخازنه: قل لهذا الأعرابي فليأت بمن يحمل له. فقيل له: إيتِ بمن يحمل لك. قال: عافىٰ الله سعيداً، إنما سألناه وَرِقاً، لم نسأله تمراً! قال: ويحكَ! إيْتِ بمن يحمل لك. فأخرج إليه أربعين ألفاً، فاحتملها الأعرابي، ومضىٰ إلىٰ البادية، ولم يلقَ غيرَهُ[٢].

وكان سعيد قد اشترىٰ مئة عبدٍ فأعتقهم ومنهم سعيد بن جبير، كان عبداً لرجل من بني أسد بن خزيمة[٣].

وحسبنا من أخبار جوده وكرمه ما روينا، وفيها أبين دليل علىٰ ما بلغه رضي الله عنه من الجود والسخاء، ومن أراد الزيادة فليراجع ما ذكرنا من المصادر.

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) المصدران السابقان

(٣) الكامل في اللغة والأدب ٢/٦٢٢.

ثانياً - إكرامه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لقد أوصىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم بأصحابه خيراً في أكثر من مناسبة، وأكثر من حديث، وكان سعيد يُكثر من إكرام أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ومن البرِّ بهم، ورويت عنه في ذلك أخبارعدة منها أنه قدم المدينة وافداً علىٰ عثمان، وهو والٍ له علىٰ الكوفة، فبعث سعيدٌ إلىٰ وجوه المهاجرين والأنصار بصلاتٍ وكُسىٰ، وبعث إلىٰ علي، وعثمان[1].

وقدم الزبير الكوفة وسعيد والٍ عليها فبعث إليه بسبعمئة ألف، فقبلها الزبير[2].

وكنَّا قد ذكرنا في الفصل السادس أخباراً من إكرام سعيد لأصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم من بني هاشم خاصة.

ثالثاً - كراهته للخصومة، وتركه المنازعة:

لقد كانت من أهم الصفات التي يتصف بها سعيد كُرهُهُ للخصومة، وبعده عن المنازعة، فقد اعتزل رضي الله عنه الفتن بعد مقتل عثمان، ولم يشارك في شيء مما جرىٰ بين الفرق السياسية المتنازعة في ذلك الوقت. وكان بعضُ بني أمية يسيء إلىٰ سعيد في المدينة، فلما تولَّىٰ سعيد ولاية

(١) مختصر ابن عساكر ٩/ ٣٠٦ - الطبقات لابن سعد ٥/ ٣٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٤٧.

المدينة قال: لا انتصر منهم، وأنا والٍ، وترك منازعتهم[1].

وكان معاوية يولي المدينة مروان بن الحكم سنة وسعيد بن العاص سنة، فلما كان في ولاية سعيد كتب إليه معاوية: بلغني أن مروان ابتنى داراً،وأنه خرج في الطريق. فإذا أتاك كتابي هذا فاهدم داره. فقال سعيد: يا جارية، خذي هذا الكتاب فضعيه في الصندوق. فلم يزل معاوية يكتب إليه في ولايته تيك، ويأمر سعيد باحتفاظ الكتب، لا ينفذ أمره فيما كتب به. ثم ولي مروان فكتب إليه بنظير الكتب التي كتب بها إلىٰ سعيد في مروان: فمضىٰ إلى دار سعيد بالفعلة – وسعيد قد صلىٰ الغداة في المسجد مستقبلاً القبلة – فجاء خادم له بخبر مروان، فخرج سعيد، فأخذ بيد مروان، فأدخله الدار، وأخبره مروان بالذي جاء له؛ فقال سعيد: يا جارية، هاتي الكتب فجاءت بكتب معاوية، فرمىٰ بها إلىٰ مروان. فلما قرأها قال: دواةً وقرطاساً، فكتب إلىٰ معاوية:

كتبت إليَّ تأمرني بعِقٍ

كما قبلي كتبتَ إلىٰ سعيدِ

فلما أنْ عصاك أردْتَ حملي

علىٰ ملساءَ تزْلقُ بالسَّديدِ

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٣١١.

لأقطعَ واصـــلاً وأخـــا حِـــفَـــاظٍ
فـــرأْيُكَ ليسَ بالرأْي الرشـــيـــدِ[1]

وقيل: إن مروان أرسل ولده عبد الملك ليهدم دار سعيد لـمَّا أمره معاوية بذلك، فأخرج له سعيد الكُتُبَ التي كان يرسلها معاوية إلىٰ سعيد ويأمُرُهُ بأخذ أموال مروان، ثم قال سعيد: لولا أنك جئتني بهذا الكتاب ما ذكرتُ ما ترىٰ، فذهب عبد الملك إلىٰ أبيه وأخبره بذلك، فقال مروان: كان سعيد أوصل لنا منا له[2].

وكان رضي الله عنه يقول: ما شاتمتُ رجلاً منذ كنتُ رجلاً ولا زاحمت ركبتي ركبته.

وخطبَ سعيدُ بن العاص أُمَّ كلثوم بنتَ عليٍّ بعد عمر بن الخطاب، وبعث إليها بمئة ألف، فدخل عليها الحسين، فشاورته، فقال: لا تَزَوَّجيه. فأرسلت إلىٰ الحسن فقال: أنا أُزَوِّجه، فاتَّعَدُوا لذلك، وحضر الحسن، وأتاهم سعيد ومن معه، فقال سعيد: أين أبو عبدالله؟ قال الحسنُ: أكفيكَ دونه، قال: فلعل أبا عبد الله كَرِهَ هذا يا أبا محمد؟ قال: قد كان وأكفيكه، قال: إذاً لا أدخُلُ في شيء يَكرهُه، ورجع ولم يعرض في المال، ولم يأخذ منه شيئاً.

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٣١١.
(٢) المرجع السابق ٩/ ٣٢١٢

وفي حديث آخر أنه لما خطبها أنعمت له، فبلغ ذلك إخوتها فكرهوه، وثقل عليهم، وكلموها كلاماً شديداً. وقد كانت وعدت سعيداً موعداً، فدعت ابنها زيد بن عمر بن الخطاب – وهو يومئذ غلام صغير – وبسطت دارها، ووضعت فيها سريراً، ثم قالت: إذا جاء سعيد بن العاص فزوجنيه. وقد كان سعيد وعد ناساً، وأرسل إليهم ليحضروا تزويجه، فحضروه في المسجد، فلما اجتمعوا إليه قال: إني دعوتكم لأمرٍ ثم بدا لي غيره، إني كنت خطبت أم كلثوم فأنعمَت، والله ما كنت لأدخل علىٰ ابني فاطمة بأمر يكرهانه، ثم التفت إلىٰ كعبٍ مولاه فقال: انظر إلىٰ المئتي ألف درهم التي هيأتُ لابنة علي، اذهب بها إليها، وقل لها: يقول لك ابنُ عمكِ: إنا كنا هيأنا لك هذه فاقبضيها صلة منا لك[1].

وقد مرَّ معنا في الفصل السادس من هذا الكتاب بعضٌ من أخباره في ترك المشاحنة عند الحديث عن موت الحسن بن علي رضي الله عنه.

رابعاً - إكرامه لجلسائه:

عن عبد الملك بن عُمير قال: كان سعيد بن العاص يقول: لجليسي عليَّ ثلاث خصال: إذا دنا رحبت به، وإذا جلس أوسعتُ له، وإذا حدَّث أقبلتُ عليه[2].

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٩/٣١٣ – سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٤٧.

(٢) تهذيب الكمال ١٠/٥٠٧.

وكان يقول: ما مددتُ رجلي قط بين يدي جليسي، ولا قُمتُ عن مجلسي حتى يقوم[١].

وكان يقول: إني لأكره أن يَمُرَّ الذباب بجليسي مخافة أن يؤذيه[٢].

وكان سعيد بن العاص يقول: ما أدري كيف أكافئ رجلاً بات يقسم ظَنَّه، فلا يقع إلاَّ عليَّ، يتخطىٰ الناس، ويتخطىٰ المجالس والأحياء، ثم يُكرمني بنفسه، ويؤنسني بحديثه، يغدو التجار إلى تجاراتهم، ويغدو إليَّ في حاجته، فإن كان أخسَّهم فأخسَّ الله حظي يوم القيامة[٣].

وعن العباس بن هشام ابن الكلبي عن أبيه؛ قال: قال سعيد بن العاص: إذا أنا لم أصِل زائري حتىٰ يرشح جبينه كما يرشح السقاء، فو الله ما وصلته[٤].

وقال صالح بن كيسان يصف أخلاق سعيد:

كان سعيد بن العاص رجلاً حليماً وقوراً، ولقد كانت المأمومة التي أصابت رأسه يوم الدار قد كاد أن يخف منها بعض الخفة، وهو علىٰ ذلك من أوقر الرجال. وكان مروان رجلاً حديداً؛ حديد اللسان، سريع الجواب،

---

(١) العقد الفريد ٢/٢٤٩.

(٢) المرجع السابق ٢/٢٥٠.

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٩/ ٣١٥.

(٤) تهذيب الكمال ١٠/٥٠٧.

ذلق اللسان، قلَّما صَبَرَ أن يكون في صدره شيء من حبٍّ أحد أو بغضه إلا ذكره، وكان سعيد خلاف ذلك؛ كان من أحبَّ صبر عن ذكر ذلك ومن أبغض فمثل ذلك، ويقول: إن الأمور تغيِّر والقلوب تغيِّر، فلا ينبغي للمرء أن يكون مادحاً اليوم عائباً غداً[1].

(١) مختصر تاريخ دمشق ٩ / ٣١٤.

الفصل السابع
بعض ما روي من جوامع كلمه، وبلاغته

كان سعيد رضي الله عنه فصيحاً، بليغاً، حكيماً، فأمَّا فصاحته، فقد سبق معنا أنه كان أشبه النَّاس لهجة برسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وهو صلى الله عليه وآله وسلم، أفصح من نطق بالضاد، وقد قال ابن عبد البر عنه: كان من أشراف قريش، جمع السَّخاء والفصاحة[1].

وقد روىٰ المؤرخون، والأدباء من خطبه، وحِكمه الشيء الكثير الذي يظهر منه مدىٰ بلاغته، وفصاحته، وبيانه، ومن ذلك مما ورد بعضه في كلامه مع معاوية وغيره فراجعه في مكانه من هذا الكتاب، وإليك متفرقات من كلامه رضي الله عنه:

عن عبد الملك بن عمير قال: قال سعيد بن العاص: إنَّ الكريم ليرعىٰ من المعرفة ما يرعىٰ الواصل من القرابة[2].

وعنه أنه قال لابنه: يا بُني، أخزىٰ الله المعروف إذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة. فأمَّا إذا أتاك السائل قلبه خائفٌ، وفرائصه ترتعدُ، وجبينه يرشحُ، وقد انتقع لونه، وذهب دم وجهه مخاطراً لا يدري أتعطيه أم تمنعه، فو الله لو

---

(١) الاستيعاب ٢/٦٢٢.

(٢) تهذيب الكمال ١٠/٥٠٧.

خرجت له من جميع مالك ما كافأته[1].

وعن عبد الله بن المبارك رضي الله عنه؛ قال: قال سعيد بن العاص: يا بُني لا تمازح الشريف فيحقد عليك - لأنَّك تستخف به - ولا تمازح الدنيء فيجترئ عليك[2].

وقال أحمد بنُ علي المُقرئ عن الأصْمَعيِّ: خطَب سعيد بنُ العاص، فقال في خُطبتِه: مَن رزَقه الله رِزقاً حَسَناً فليكن أسعدَ النَّاس به ينفق منه سراً وجهراً، فإنه إنَّما يتركه لأحد رجلين: إمَّا مصلح فلا يقلّ عليه شيء، وإما مُفسد فلا يبقىٰ له شيء. فقال معاوية: جمع أبو عُثمان طُرَف الكلام.

وقال محمد بنُ عبد العَزيز الدِّيْنَوريُّ، عن محمد بن سَلاَّم الجُمحيِّ: قال سعيد بنُ العاص: لا أعتذر من العِيّ في حالين: إذا خاطبتُ سفيهاً، أو طلبتُ حاجةً لنفسي[3].

وكان يقول: يا بُني لو كانت المكارم سهلة يسيرة لسابقكم إليها اللئام. ولكنها كريهة مُرَّة، لا يصبر عليها إلا من عرف فضلها، ورجا ثوابها، وأنشد لأبي جعفر مولىٰ بني هاشم:

---

(١) تهذيب الكمال ١٠/٥٠٧ -العقد الفريد ١/١٩٣ - مختصر ابن عساكر ٩/ ٣١٥.

(٢) المرجع السابق١٠/٥٠٨.

(٣) المرجع السابق ١٠/٥٠٨ - العقد الفريد ١/١٨٥. والعِيّ: العجز عن الخطاب والجواب.

كلُّ الأمـــور تزول عنك وتنقـــضي

إلا الـثـنـاء فـــــــــإنـه لـك بـاقِ

ولو أنني خُـــيّـــرتُ كلَ فـــضـــيلةٍ

مـا اخـتـرتُ غـيـر مكارم الأخـلاق[1]

وكان يقول: القلوب تتغير، فلا ينبغي للمرء أن يكون مادحاً اليوم ذاماً غداً[2].

وسيأتي شيء من كلامه في وصيته لولده عند موته.

(١) تهذيب الكمال ٣١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٤٤٨.

الفصل الثامن
أخبار سعيد بن العاص مع الشعراء

لقد حظي بنو أمية قديماً بالكثير من مدائح الشعراء، ولـمَّا استتب الأمر لهم زمن معاوية وبعده تسابق الشعراء إلىٰ مديح أمراء بني أمية وأشرافها، وحظي سعيد بن العاص بقسط من هذا المديح، ولا شك أن الشعراء كانوا يجدون في شخصية سعيد، وفي أخلاقه الكثير من المعاني والصفات التي تُغني قصائدهم وتُثريها، ومن ذلك صحبته، وشرفه، وشجاعته، وفصاحته، وعِلمه، وجوده، وأخلاقه.

وها نحن في هذا الفصل نورد بعضاً مما ورد من أخباره مع الشعراء، ومدائحهم له.

أولاً - أخباره مع الحطيئة:

كان الحطيئة شاعراً صادق اللهجة، كثير الهجاء، قليل المديح، مع ذلك فقد رُوِيتْ له أشعار في مديح سعيد بن العاص، وإليك شيئاً من أخباره معه.

أتىٰ الحطيئة مجلس سعيد بن العاص، وهو والٍ علىٰ المدينة يُعَشِّي الناس، فلمَّا فرغ النَّاس من طعامهم، وخفَّ منْ عِندَه؛ نَظَر، فإذا رجلٌ قاعدٌ

علىٰ البساط قبيح الوجه، كبير السِّن، سيِّىء الهيئة، فلمَّا خاض سعيدٌ في أحاديث العرب وأشعارهم؛ قال لهم الحطيئة: ما أصبتم من الشعر أحسنه!فقال سعيد: فهل عندك من ذلك علم؟

قال: نعم!

قال: فَمَنْ أشْعَرُ العرب؟

قال: الذي يقول:

لا أعُدُّ الإقتار عُدْمًا ولكنْ

فَقْدُ مَنْ قَدْ رُزِئْتُهُ الإعْدَامُ

ثم أنشده إياها حتى أتىٰ عليها.

قال: فمَنْ يقولها؟

قال:أبو دؤاد الإيادي.

قال: ثم مَنْ؟

قال: الذي يقول:

أفْلِحْ بما شيت فقد يُدْ

رَكُ بالضعف وقد يُخْدَعُ الأريبُ

ثم أنشدها إياه حتىٰ أتىٰ عليها.

قال: فَمنْ قائلها؟

قال: عَبيد بن الأبرص.

قال: ثم مَنْ؟

قال: والله لَحَسْبُكَ بي عند رغبة أو رَهْبَةٍ، إذا وضعت إحدىٰ رِجْلَيَّ الأخرىٰ ثم عَوَيْتُ في إثر القوافي كما يعوي الفَصِيلُ الصادر خلْفَ أُمِّه.

قال: ومَنْ أنت؟

قال: أنا الحطيئة.

فرحَّب به سعيدٌ، وقال له: لقد أسأت في كتمانك إيانا نفسك، وأكرمه، وأحسن إليه، فقال الحطيئة يمدحه:

لعَمْرِي لَقَدْ أَمْسَىٰ عَلَىٰ الأَمْرِ سَائِسٌ
بَصِيرٌ بِمَا ضَرَّ العَدُوَّ أَرِيبُ
جَرِيءٌ عَلَىٰ مَا يَكْرَهُ المَرْءُ صَدْرُهُ
وَلِلْفَاحِشَاتِ المُنْدِيَاتِ هَيُوبُ
سَعِيدٌ وَمَا يَفْعَلْ سَعِيدٌ فَإِنّهُ
نَجِيبٌ فَلاَهُ في الرِّبَاطِ نَجِيبُ

سَعِيدٌ فَلاَ يَغْرُرْكَ خِفَّةُ لَحْمِهِ
تَخَدَّدَ عَنْهُ اللَّحْمُ وَهُوَ صَلِيبُ

إِذَا خَافَ إِصْعَاباً مِنَ الأَمْرِ صَدْرُهُ
عَلاَه بَتَاتَ الأَمْرِ فَهْوَ رَكُوبُ

إِذا غِبْتَ عَنَّا غَابَ عَنَّا رَبِيعُنَا
وَنُسْقَىٰ الْغَمَامَ الغُرَّ حِينَ تَثُوبُ

فَنِعْمَ الْفَتَىٰ تَعْشُو إِلَىٰ ضَوْءِ نَارِهِ
إِذا الرِّيحُ هَبَّتُ والمكانُ جَدِيبُ

وما زِلْتَ تُعْطِي النَّفْسَ حَتَّىٰ كأنما
يَظَلُّ لأَقْوَامٍ عَلَيْكَ نُحُوبُ

إِلَيْكَ تَنَاهَىٰ كُلُّ أَمْرٍ يَنُوبُنَا
وَعِنْدَ ظِلاَلِ المَوْتِ أَنتَ حَسِيبُ[1]

(١) ديوان الحطيئة ص ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨ – الشعر والشعراء ص ٢٤٢، ٢٤٣.

وقال الحطيئة يمدح سعيد بن العاص وهو والٍ علىٰ الكوفة:

إِلَيْكَ سَعِيدَ الخَيْرِ جُبْتُ مَهَامِهَا
يُقَابِلُنِي آلٌ بِهَا وَتُنُوفُ

فَلَوْلا الذي العاصي أَبُوهُ لَعُلِّقَتْ
بِحَوْرَانَ مِجْذَامُ العَشِيِّ عَصُوفُ

وَلَوْلا أَصِيلُ اللبِّ غَضٌّ شَبَابُهُ
كَرِيمٌ لأَيامِ المَنُونِ عَرُوفُ

إِذَا هَمَّ بالأَعْدَاءِ لم تَثْنِ هَمَّهُ
كَعَابٌ عَلَيْهَا لُؤْلُؤٌ وَشُنُوفُ

حَصَانٌ لَهَا في البَيْتِ زِيٌّ وَبَهْجَةٌ
وَمَشْيٌ كَمَا تَمْشِي القَطَاةُ كَتِيفُ

ولو شَاءَ وَارَىٰ الشَّمْسَ مِنْ دُونِ وَجْهِهِ
حِجَابٌ وَمَطْوِيُّ السَّرَاةِ مُنِيفُ

ولكنَّ إِدْلاجاً بشَهْبَاءَ فَخْمَةٍ
لَهَا لَقَحٌ في الأَعْجَمِينَ كَشُوفُ

إِذَا قَادَهَا لِلْحَرْبِ يَوْماً تَتَابَعَتْ
أُلُوفٌ عَلَىٰ آثَارِهِنَّ أُلُوفُ

فَصَفّو وَمَاذِيُّ الحَدِيدِ عَلَيْهِمُ
وَبَيْضٌ كأوْلادِ النَّعَامِ كثِيفُ
أَنَابَتْ إِلَىٰ جَنَّاتِ عَدْنٍ نُفُوسُهُمْ
وما بَعْدَهَا لِلصالِحِينَ حُتُوفُ
خَفِيفُ المِعَىٰ لا يَملأُ الهُوْلُ صَدْرَهُ
إِذا سُمْتَهُ الزَّادَ الخَبِيثَ عَيُوفُ[1]

ومما قاله الحطيئة في مدح سعيد:

متىٰ تأتِهِ تعشو إِلىٰ ضوءِ ناره
تجد خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ[2]

وجاء في الأغاني عن خالد بن سعيد بن العاص قال: لقيني إِياس بن الحطيئة فقال لي: يا أبا عثمان، مات أبي، وفي بيته عشرون ألفاً أعطاه إِياها أبوك، وقال فيه خمس قصائد، فذهب والله ما أعطيتمونا، وبقي ما أعطيناكم فقال: صدقت والله[3].

---

(١) ديوان الحُطيئة ص ٢٥٦، ٢٥٧.
(٢) ديوان الحُطيئة ص ٢٤٩.
(٣) ديوان الحُطيئة ص ٢٤٩.

ثانياً - أخباره مع الفرزدق:

هجا الفرزدق بني المنقر في العراق، فاستعدوا عليه زياداً وهو والٍ عليهم، فهرب إلىٰ المدينة وعليها سعيد بن العاص، فأمَّنَهُ، وأجاره، فقال الفرزدق يمدحه:

عليك بني أميَّة فاستجرهم
وخُذ منهم لما تخشىٰ حبالاً
فإنَّ بني أمية في قريشٍ
بنوا لبيوتهم عَمَداً طوالاً
بنو عمِّ الرسول ورهط عمرو
وعثمان الذين علوا فعالاً
فَرَوَّحتُ القَلوص إلىٰ سعيد
إذا ما الشاةُ في الأرطاةِ قالا[1]
إليك فررتُ منكَ ومن زيادٍ
ولم أحسب دمي لكما حلالا

(١) يعني في شدة الحر والهجير.

فـــإن يكـن الهـــجـــاء أحلَّ قـــتلي

فـــقـــد قلنا لشـــاعـــرهم وقـــالا

ترىٰ الشُّمَ الجَـــحَـــاجِحَ من قُـــرَيشٍ

إذا مـــا الأمـــرُ ذو الحـــدثان عـــالا[1]

قـــيـــامـــاً ينظرون إلىٰ ســـعـــيـــدٍ

كـــــــــأنـهـم يـرون بـهِ هـلالا[2]

ومِمَّا قيل في مديح سعيد بن العاص قول معن بن أوس:

أخـــو شـــتـــواتٍ لا تزال قُـــدوره

يُحَلُّ علىٰ أرجـــائهـــا ثم يُرحلُ

إذا مـــا امـــتطاها الموقـــدون رأيتـــهـــا

لو شك قِـراها وهي بالجـزل تشـعلُ[3]

---

(١) الجَحَاجح: جمع جحجاح، وهو السيد الكريم. والحدَثَان: نوائب الدهر، والأمر العظيم.

(٢) ديوان الفرزدق، تحقيق كرم بستاني ٢/ ٦٩، ٧٠ - وراجع سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٤٥ - والعقد الفريد ٥/ ٢٨٣- الشعر والشعراء ٣٨٧.

(٣) ديوان الحطيئة ٣٤٩.

الفصل التاسع
وصيته لولده، ووفاته، وبعض ما قيل فيه

عاش سعيد بن العاص حياته أميراً كريماً شريفاً، ولم يعمر طويلاً، فقد توفي سنة سبع، أو ثمان، أو تسع وخمسين في أواخر خلافة معاوية، عن عُمرٍ قارب الستين ولم يبلغها.

روىٰ الأصمعي وغيره أنَّ سعيد بن العاص لـمَّا حضرته الوفاة جمع بنيه، وقال لهم: أيكم يقبل وصيتي؟

فقال ابنه الأكبر عمرو: أنا يا أبةِ.

قال: فإنَّ فيها قضاء ديني.

قال: وكم دينك يا أبةِ؟

قال: ثمانون ألف دينار[1]!

قال: فَبِمَ استدنتها.

قال: في كريم سددت فاقته، وفي رجلٍ أتاني في حاجة ودمه ينزو في وجهه من الحياء، فبدأته بها قبل أن يسألني، وفي لئيم فديتُ عرضي منه.

قال عمرو: فهي عليَّ يا أبة.

---

(١) وفي رواية ثلاثون ألف دينار.

قال: مضت خَلَّة وبقيت خَلَّتَان.

قال: وما هما يا أبة؟

قال: بناتي لا تُزَوِّجهن إلا في الأكفاء، ولو بخبز الشعير.

قال: أفعل.

قال: مضت خَلَّتانِ، وبقيت خَلَّةٌ.

قال: وما هي يا أبة؟

قال: إخواني إن فقدوا وجهي، فلا يفقدوا معروفي، أجروا عليهم ما كنتُ أُجري، واصنعوا إليهم ما كنتُ أصنع بهم، واكفوهم مؤونة الطلب.

فقال عمرو: وأفعل يا أبةِ.

فقال سعيد: أما والله لئن قلتَ ذلك، فلقد تَفَرَّستُ ذلك في وجهك، وأنت في مهدك[1].

وتوفي سعيد في قصره بالعرصة علىٰ بعد ثلاثة أميال من المدينة وهو الذي يقول فيه عمرو بن الوليد بن عقبة:

---

(١) تاريخ الإسلام ٤/٢٢٩ - وسير أعلام النبلاء ٣/٤٤٨- مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٣١٥ -تهذيب الكمال ١٠/٥٠٧ و ٢٢/٣٧، ٣٨.

القـصـرُ فـالنخلُ فـالجـمَّـاء بينهـمـا

أشـهىٰ إلىٰ النفس من أبواب جـيـرون[1]

وطلب أن يُحـمَلَ فيـدفن في البـقـيع، وقال: إنَّ قليلاً لي عند قومي في برِّي بهم أن يحملوني علىٰ رقابهم إلىٰ البقيع[2].

وقال لعمرو ولده: إذا مُتُّ فادفني، ثمَّ اركب إلىٰ معاوية فَانْعَني إليه، ولا تقبل من معاوية قضاءَ دَيني، وبعْ قصري، واقضِ ديني.

فلمـا دفنه عـمـرو وقف الناس بالبـقـيع، فـعـزوه، ثـمَّ ركب رواحله إلىٰ معاوية، فقدم عليه، فنعاه له، فاسترجع معاوية، ثُمَّ تَرَّحم عليه، وَتَوَجَّعَ لموته، ثم قال: هل تركَ من دين؟

قال: نعم.

قال: ثلاثمئة ألف درهم.

قال: هي عليَّ.

قـال: قـد أبىٰ أبي ذلك، وأمـرني أن أقـضي عنه دينه من أمـواله، وأبيع منها.

(١) الجمَّاءُ: أرضٌ كانت لسعيد قرب قصره. راجع سير أعلام النبلاء ٣/٤٤٨ - الأغاني ١/٨، ١١ - مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٣١٧.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٣١٧.

قال معاوية: فبعني منها.

قال: أنْفَسُهَا، وأَحَبُهَا إِلينا وإِليه في حياته منزله بالعَرصَةِ.

قال معاوية: هيهات، لا تبيعوا هذا المنزل ! انظر غيره.

قال: نحبُ تعجيل دينه.

قال: أخذتُهُ بثلاثمئة ألف درهم[١].

ولقد شهد المعاصرون والمؤرخون لسعيد بن العاص بالفضل، والشرف، وكان معاوية يقول: لكل قوم كريم، وكريمنا سعيد بن العاص[٢].

وسئل عمن يَصلحُ للخلافة بعده، فعدد أناساً منهم: سعيد بن العاص[٣].

وسأل محمد بن عقيل بن أبي طالب أباه عن أكرم قريش فقال: أنا وابن أمي ثم حسبك بسعيد بن العاص[٤].

وعن عمر بن مصعب بن الزبير قال: كان يقال لسعيد بن العاص: **عُكَّةُ العسل**[٥].

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/٣١٧.
(٢) تهذيب الكمال ١٠/٥٠٥.
(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٤٧.
(٤) تهذيب الكمال ١٠/٥٠٤.
(٥) تهذيب الكمال ١٠/٥٠٨ والعكة: هي ما يوضع فيها السمن والعسل، وهذا القول كناية عن كثرة خيره وبرِّه.

وقال فيه ابن عبد البرِّ: كان من أشراف قريش، جمع السخاء والفصاحة، وهو أحد الذين كتبوا المصاحف لعثمان بن عفان، واستعمله علىٰ الكوفة، وكان أَيداً ضرب رجلاً بجرجان علىٰ عاتقه، فأخرج السيف من مرفقه[١].

وقال فيه الحافظ الذهبي: كان أميراً، شريفاً، جواداً، مُمَدَّحاً، حليماً، وقوراً، ذا حزمٍ وعقلٍ، يَصْلُح للخلافة[٢].

وعن صالح بن كيسان قال:

كان سعيد بن العاص رجلاً حليماً، وقوراً، وكان من أوقَرِ الرجال[٣].

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٢/٦٢٢. والأيد: قوي اليدِ.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٤٤٥.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/٣١٤.

الفصل العاشر
أولاده، وأزواجه، وبعض أخبارهم

لقد بارك الله لسعيد بن العاص في ذريته، فقد ذكر له المؤرخون والنسابون نحواً من عشرين ابناً، وعشرين بنتاً، وكان من أولاده الفرسان، والشعراء، والفقهاء، والمحدثون، وإليك بعضاً من أخبارهم.

أولاً - ذكر أولاده:

- عثمان الأكبر، ومحمد، وعمرو، وعبد الله الأكبر، والحكم، وأُمُّهُم أمُّ البنين بنت الحكيم بن أبي العاص بن أميَّة.

- وعبد الله الأصغر، وأمُّه أم حبيب بنت جبير بن المطعم بن عدي.

- يحيىٰ ، وأيوب، وأُمُّهُمَا العالية بنت سلمة بن يزيد بن المجمع بن مالك بن كعب من بني مذحج.

- وأبان، وخالد، والزبير، وأمُّهُم جويرية بنت سفيان بن عويف من بني كنانة.

- وعثمان الأصغر، وداود، وسليمان، ومعاوية، وآمنة، وأمُّهُم أمُّ عمرو بنت عثمان بن عفان.

- وسليمان الأصغر، وأمُّه مريم بنت عثمان بن عفان.

- وإبراهيم وأمُّه بنتُ سلمة بن قيس.

– وجرير، وأمُّ سعيد، وأمُّهُمَا عائشة بنت جرير بنت عبد الله البجلي.

– ورملة، وأمُّ عثمان، وأميمة، وأمُّهُم أميمة بنت عامر بن مالك بن بَجيلة.

– وعائشة الصغرىٰ، وأمُّها أمُّ حبيب ابنة بجير بن مالك.

– وحفصة، وعائشة الكبرىٰ، وأم عمرو، وأم يحيى، وفاخته، وأمُّ حبيب الكبرىٰ، وأمُّ حبيب الصُّغرى، وأمُّ كلثوم، وساره، وأمُّ داود، وأمُّ سليمان، وأمُّ إبراهيم، وحُميدة، وهُنَّ لأمهاتٍ شتىٰ[1].

ثانياً - بعض أزواج بناته:

أمَّا آمنة فتزوَّجها خالد بن يزيد بن معاوية.

ومريم تزوَّجها عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية.

ورملة تزوَّجها خالد بن عقبة، ثم طلَّقها فتزوَّجها يزيد بن معاوية.

وأمُّ عثمان تزوَّجها خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، ثم عبد الله بن يزيد بن الأسوار.

وأميمة تَزَوَّجها محمد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان.

وحميدة تَزَوَّجها عثمان بن عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان[2]. وله بنت تزوَّجها الوليد بن عبد الملك.

---

(١) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٥/٢٢. ونسب قريش ١٧٩.

(٢) نسب قريش ١٨٠، ١٨١.

ثالثاً - بعض أخبار أولاده:

١- عمرو بن سعيد بن العاص:

وهو أكبر أولاد أبيه، ويسمىٰ الأشدق[١]؛ لأنه كان من بلغاء العرب وفصحائهم. ولاَّه أبوه إمارة مكة، وهو والٍ علىٰ مكة والمدينة لمعاوية وأقرَّه معاوية، ثم أقرَّه يزيد على ذلك.

قال العتبي: استعمل سعيد بن العاص ولده عمرو بن سعيد والياً علىٰ مكة، فلما دخلها قام علىٰ المنبر، فحمد الله، وأثنىٰ عليه، ثم قال:

أما بعد، معشرَ أهل مكة، فإنا سكناها حِقْبة، وخرجنا عنها رغبة، ولذلك كُنَّا إذا رُفعت لنا لُهوة بعد لُهوة أخذنا أسناها، ونزلنا أعلاها؛ ثم شَدخ أمرٌ بين أمرين، فقَتلنا وقُتلنا؛ فوالله ما نزعنا ولا نزع عنا، حتىٰ شرب الدمُ دماً، وأكل اللحم لحماً، وقرع العظم عظماً؛ فولِيَ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم برسالة الله إياه، واختياره له؛ ثم ولي أبو بكر لسابقته وفضله؛ ثم ولي عمر؛ ثم أُجيلت قِداحٌ نُزعن من شُعب حول نبعة، ففاز بحظِّها أصلبها وأعتقها، فكنا بعض قِداحها؛ ثم شدخ أمر بين أمرين، فقَتلنا وقُتلنا، فوالله ما نَزعنا ولا نزع عنا حتىٰ شرب الدم دماً، وأكل اللحم لحماً، وقرع العظم عظماً، وعاد الحرام حلالاً، وأُسكت كل ذي حسٍّ عن ضرب

(١) تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٠ - سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٤٩.

و الشدق: هو جانب الفم، ويطلق علىٰ الفصيح البليغ الأشدق. راجع لسان العرب ١٠/ ١٧٣.

مهنَّد، عركاً عركًا، وعسفًا عسفًا، وخزًا ونهْسًا، حتىٰ طابوا عن حقنا نفسًا، والله ما أعطوه عن هوادة، ولا رضوا فيه بالقضاء؛ أصبحوا يقولون: حقُّنا غُلبنا عليه، فجزيناه هذا بهذا، وهذا في هذا.

يا أهل مكة، أنفسَكم أنفسَكم! وسفهاءَكم سفهاءَكم! فإن معي سوطاً نكالاً، وسيفاً وبالاً، وكلٌّ منصوبٌ علىٰ أهله. ثم نزل[1].

قال له معاوية مرَّة إلى من أوصىٰ بك أبوك؟

فقال له: إنه أوصىٰ إليَّ ولم يوصِ بي!

ولـمَّا بلغ معاوية نعي سعيد بن العاص قال: ما مات رجلٌ تركَ عَمراً[2].

ولـمَّا توفي يزيد، وتخلَّىٰ ولده عن الخلافة اجتمع بنو أمية في الجابية وكانوا ثلاثة فِرقٍ، فرقة مع مروان بن الحكم، وفرقة مع خالد بن يزيد، وفرقة مع عمرو بن سعيد بن العاص ثمَّ اتفقوا على تولية مروان لأنه أسنُّ منهما.

استخلفه عبدالملك بن مروان علىٰ دمشق لـمَّا سار ليملك العراق، فثار عليه عمروٌ، وبايعه الناس، وكان يزعم أنَّ مروان كان قد جعل ولاية العهد إليه من بعد عبد الملك، فلمَّا رجع عبد الملك، وحاصر دمشق أعطاه أماناً مؤكداً، فاغتر به عمرو، ثمَّ قتله عبدالملك بعد أيام.

---

(١) العقد الفريد ٤/ ١٢٢.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٣١٨.

وقد كان عَمرو كتبَ إلىٰ عبد الملك بهذه الأبياتِ:

يُرِيدُ ابنُ مـــروانٍ أُمُـــوراً أظنُّهـــا
ستَـحْـمِلُه مِنِّي علىٰ مَـرْكَبٍ صَـعْبِ
أتنقُضُ عَـهْـدًا كَـانَ مَـرْوانُ شـدَّهُ
وأكَّـدَ فـيـهِ بالقَطيـعَـة والكذبِ
فَـقَـدَّمـه قـبلي وقَـدْ كُنْتُ قَـبْلَهُ
ولوْلا انْقِـيـادي كَـانَ كَـرْباً مِن الكَرْبِ
وَكـانَ الَّذي أَعْطَيْتُ مَـرْوَانَ هَفْـوَةً
عُنيتُ بهـا رأياً وخَطْبـاً مِنَ الخَطْبِ
فـإِنْ تُنْفـذُوا الأَمْـرَ الَّذي كَـانَ بَيْنَنا
فَنَحْنُ جَمِيعاً في السُّهُولِ وفي الرَّحْبِ
وإِنْ تُعْطِهـا عَـبْـدَ العَـزِيزِ ظُلاَمَـةً
فَـأَوْلىٰ بِهَـا مِنَّا ومِنْهُ بنو حَـرْبِ[1]

وكان قَتْلهُ سنة تسع وستين، أو سنة سبعين[2].

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٤٩، ٤٥٠.

(٢) تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٩.

وعن العُتبي قال: قال: عبد الملك بن مروان بعد قتله عمرو بن سعيد: لقد كان أبو أمية – وهي كنية عمرو– أحبَّ إِليَّ من دم النواظر، ولكن ما اجتمع فحلان إِلاَّ أخرج أحدهما الآخر، ولقد كان عمرو حمالاً للعظائم، ناهضاً إِلى المكارم.

روىٰ عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم مرسلاً، وعن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعائشة، وعن أبيه[1].

وروىٰ عنه ابنه أمية، وخيثم بن مروان بن قيس السُّلمي، وابنه سعيد، وعبد الكريم، أبو أمية البصري، وابنه موسىٰ، ويحيى بن سعيد الأنصاري.

وأخرج له مسلم، والنسائي، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه[2].

ومما أخرج له مسلم ما رواه عن عبد بن حميد، وحجاج بن الشاعر، وعن أبي الوليد الطيالسي قال: حدثنا إِسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، قال: حدثني أبي، عن أبيه عمرو بن سعيد قال: كنت مع عثمان فدعا بطَهُوره، فقال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول: «**ما من مُسلمٍ تحضرُهُ صلاةٌ مكتوبةٌ فيحسنُ وضُوءَهَا وخُشوعَها ورُكُوعَها وسُجُودَها إِلا كانت كَفّارةً لِمَا قَبلها من الذُّنوبِ ما لمْ يأتِ كبيرةً وذلك الدهرُ كلُّهُ**»[3].

(١) تهذيب الكمال ٢٢/٣٦.

(٢) تهذيب الكمال ٢٢/٣٩.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٢٨).

وقد كان من أولاد عمرو بن سعيد المحدثون والفقهاء، ونحن نذكر بعضاً من أخبارهم:

سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص:

المدني، ثمَّ الدمشقي، ثمَّ الكوفي، ثقةٌ، مات بعد العشرين ومئة، وأخرج له البخاري، ومسلم، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه[١].

وموسى بن عمرو بن سعيد بن العاص:

ذكره ابن حبان في الثقات،ولم يروِ عنه سوى ولده أيوب، وأخرج الترمذي عن أيوب بن موسىٰ بن عمرو عن أبيه عن جده عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال: «**ما نَحَل والدٌ ولداً أفضل من أدبٍ حسن**».[٢] وليس له في سوىٰ الترمذي من الكتب التسعة أحاديث[٣].

وأمية بن عمرو بن سعيد بن العاص:

كان بالشام عند قتلِ أبيه وكان عند عمر بن عبدالعزيز، وسكن مكة فترةً.

روىٰ عن أبيه، وروىٰ عنه ابنه إسماعيل، وحديثه في المراسيل لأبي داود[٤].

---

(١) تقريب التهذيب ١/ ٣٦١.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١٩٥٢).

(٣) تقريب التهذيب ٢/ ٢٢٧ - تهذيب الكمال ٢٩/ ١٢٦.

(٤) تهذيب الكمال ٣/ ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠.

ومن أحفاد عمرو بن سعيد بن العاص من العلماء:

إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص:

روىٰ له البخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه.

روىٰ عن أبيه، وعكرمة بن خالد المخزومي، ويحيىٰ بن الحكم بن أبي العاص، وروىٰ عنه جمعٌ كثير.

قال النسائي: ثقة، وقال أحمد: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: شيخٌ.

مات سنة ست وسبعين ومئة، وقيل: سنة سبعين ومئة[1].

وأيوب بن موسىٰ بن عمرو بن سعيد بن العاص:

أبو موسىٰ المكي، روىٰ عن جماعة منهم مكحول الدمشقي، ونافع مولىٰ ابن عمر، وابن شهاب الزهري، ومحمد بن كعب القرظي وأبيه، وغيرهم.

وروى عنه جماعة منهم: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، والليث بن سعد، ومالك بن أنس، ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري.

قال علي بن المديني: له نحو من أربعين حديثاً.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه، وإسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين، وأبو زرعة، والنسائي: ثقةٌ.

(١) تهذيب الكمال ٢/ ٨٢٤، ٩٢٤، ٤٣٠.

وقال علي بن المديني عن سفيان بن عيينة: لم يكن عندنا قُرشيان مثل أيوب بن موسىٰ وإسماعيل بن أمية - وكلاهما حفيدا عمرو بن سعيد -وكان أيوب أفقههما.

وقال ابن سعد: كان والياً لبعض بني أمية، وكان ثقة.

وإسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص:

قال الزبيري: كان فقيه أهل مكة في زمنه، حَبَسَه داود بن علي العباسي[1].

وقال علي بن المديني: له ستون حديثاً، أو أكثر.

وقال محمد بن سعد: كان ثقة، كثير الحديث، مات سنة أربع وأربعين ومئة، وليس له عقب.

وقال أبو زرعة، وابن معين، وأبو حاتم، والنسائي: ثقةٌ.

روىٰ عن جمع كثير منهم: أبو أمية، وربيعة الرأي، وسعيد بن المسيب، وعبد الله بن عروة بن الزبير، وعكرمة مولىٰ ابن عباس، ومكحول الشامي، ونافع مولىٰ ابن عمر، وغيرهم.

وروىٰ عنه جمع كثير منهم: سفيان الثوري، وابن عيينة، وعبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج، ومحمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ، وغيرهم.

---

(١) نسب قريش ص ١٨١.

وأخرج له أصحاب الكتب الستة وغيرهم[١].

٢- أبان بن سعيد بن العاص:

كان ولده سعيد بن أبان من جلساء عمر بن عبد العزيز، وروى عنه[٢].

وقد خرج من أولاد أبان وأحفاده عدد من العلماء والمحدثين ومنهم:

عبيد بن سعيد بن أبان:

روىٰ عن سفيان وغيره[٣].

وعنبسة بن سعيد بن أبان:

روىٰ عن عبدالله بن المبارك وغيره، كان كثير الرواية، ثقة[٤].

ويحيىٰ بن سعيد بن أبان:

إمامٌ، محدثٌ، ثقةٌ. ولد سنة بضع عشرة ومئة، وحمل المغازي عن محمد بن إسحاق، وكان يروي غرائبَ عن الأعمش، وروىٰ عن خلقٍ كثير.

قال عنه ابن معين: ثقةٌ. وروىٰ عنه أحمد بن حنبل، وقال: ليس به بأس. وأحاديثه في الكتب الستة وغيرها[٥].

---

(١) تهذيب الكمال ٣/ ٤٩٤ - ٤٩٦.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٨٣.

(٣) الطبقات لابن سعد ٦/ ٣٧٢.

(٤) الطبقات لابن سعد ٦/ ٣٧٢.

(٥) تهذيب الكمال ٣٢/ ٣١٩، ٣٢٠ - سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٩.

وولده **سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان:**

روىٰ عن أبيه وأعمامه عبد الله، وعبيد، ومحمد، وعن عبدالله بن المبارك، ومسلم بن خالد الزنجي، وغيرهم.

وروىٰ عنه نحو عشرين راوِيًا منهم أبو حاتم الرازي، وعبدالله بن أحمد ابن حنبل، وأبو يعلىٰ الموصلي، وأصحاب الكتب الستة ما عدا ابن ماجه.

قال ابن المديني: هو عندنا أثبت من أبيه.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان الأموي، قال: حدثنا أبي، وهما ثِقتان: الأب والابن. توفي سنة تسع وأربعين ومئتين[1].

٣- عبدالله بن سعيد بن العاص:

كان جواداً، كريماً، مدحه الأخطل فقال:

فقد ولدنا ماجداً حميداً

أغرَّ يُهراَقُ يداه جوادا

رُكِّب في خير قريشٍ عودا

بحراً به الطاقةُ أن يسودا[2]

(١) تهذيب الكمال ١١/١٠٥، ١٠٦ - تاريخ بغداد ٩/٩٠.

(٢) ديوان الأخطل، تحقيق د. فخر الدين قباوة ٢/٥٩٢.

وقال فيه أيضاً:

ومن يكُ سائلاً ببني سعيد
فعبدُ الله أكرمهم نِصَابا
تَذرَّيتَ الذوائبَ من قريشٍ
وإن شُعِبُوا تَفَرَّعْتَ الشعَابا
بحور بني أمية أورثوه
حمالاتٍ، وأخلاقاً رِغابا
وتجمعُ نوفلاً وبني عَكَبٍّ
كلا الحيين أفلحَ من أصابا[1]
من الفتيان لا بَهِجٌ بِدُنيا
ولا جَزِعٌ إذا الحَدَثان نابا
أغرُّ من الأباطح من قريشٍ
به يستمطر العَرَبُ السَّحابا[2]

(١) كانت أمُّ عبدالله من بني نوفل بن عبد مناف، وجدَّتُهُ من بني كعب من تغلب.
(٢) ديوان الأخطل ١/ ٣٣٢، ٣٣٣.

٤- يحيى بن سعيد بن العاص:

كنيته أبو أيوب، ويقال: أبو الحارث. كان مع أخيه عمرو بن سعيد لـمَّا قتله عبدالملك، فوَجَّهه إلىٰ المدينة مع إخوته، وكان علىٰ شُرطة عمرو بن سعيد، فلحق بعد مقتل أخيه بعبدالله بن الزبير، فلم يزل معه إلى أن قُتل، فأمَّنَهُ عبدالملك، وقال له: يا قبيح بِمَ تنظر إلىٰ الله إذا لقيته وقد غدرتَ بي بعد ما عفوتُ عنك؟!

فقال يحيى: أنظر إليه بالوجه الذي خَلقَه، وأنت الذي دفعتني إلىٰ عدوك هدية، بعد ما أخرجتني وأخفتني.

وقال له عبدالملك مرة: أنت أشبه الناس بإبليس، فقال له يحيى: ولم تنكر أن يُشبهَ سيد الإنس سيد الجنِّ؟!

روىٰ له البخاري في الأدب، ومسلم في صحيحه حديثًا واحداً[١].

٥- عنبسة بن سعيد بن العاص:

كان جليساً للحجَّاج بن يوسف روىٰ عن أنس بن مالك، وأبي هريرة، وعمر بن عبدالعزيز.

وروىٰ عنه ابن شهاب الزهري، وأبو قِلابة حديث العُرنيين، وقول عمر بن عبدالعزيز في القسامة.

---

(١) تهذيب الكمال ٣٢/ / ٣٢٥-٣٢٧.

روىٰ له البخاري، ومسلم، وأبو داود[1].

ومن ولده عبدالله بن عنبسة بن سعيد: قتله داود بن علي العباسي، وإليه يُنسب قصر ابن عنبسة[2].

(١) تهذيب الكمال ٢٢/٤٠٨، ٤٠٩.

(٢) نسب قريش ١٨١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، مُسبِغِ النعم علىٰ عباده ظاهرة وباطنة.

وبعد، فقد وصلنا إلىٰ نهاية المطاف مع عَلَم من أعلام أجواد المسلمين، وحكمائهم، وفصحائهم، وحسبنا ما ذكرنا من أخباره وأخبار أولاده، وذِكرِ بعض أقواله وما قيل فيه.

أرجو الله أن أكون قد وفقْتُ في عرض ذلك كله عرضاً جيداً بعيداً عن الغلو والإفراط، أو التقصير والتفريط. وأرجوه تعالىٰ أن يتقبل مني هذا العمل، وأن ألقاه في صحائفي يوم القيامة إنه تعالىٰ سميع مجيب قريب، والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر الأندلسي.
٢- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر.
٣- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني.
٤- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة.
٥- البداية والنهاية، ابن كثير.
٦- تاريخ الإسلام، للحافظ الذهبي.
٧- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي.
٨- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني.
٩- تهذيب الكمال، الحافظ المزي.
١٠- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي.
١١- حياة الصحابة، الكاندهلوي، ت: الشيخ نايف العباس ومحمد علي دولة.
١٢- ديوان الأخطل، ت: د. فخر الدين قباوة.
١٣- ديوان الحطيئة.
١٤- ديوان الفرزدق، ت: كرم بستاني.
١٥- سنن أبي داود.
١٦- سنن الترمذي.

١٧- السنن الكبرى، للإمام النسائي.
١٨- سير أعلام النبلاء، الحافظ الذهبي.
١٩- الشعر والشعراء، ابن قتيبة.
٢٠- صحيح البخاري.
٢١- صحيح مسلم.
٢٢- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد.
٢٣- العقد الفريد، ابن عبد ربه.
٢٤- الفهرست، ابن النديم.
٢٥- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس المبرِّد.
٢٦- لسان العرب، ابن منظور.
٢٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ابن حجر الهيثمي.
٢٨- مختصر تاريخ ابن عساكر، الحافظ ابن عساكر، ت: لجنة التحقيق بدار الفكر.
٢٩- المستدرك، الحاكم النيسابوري.
٣٠- المعارف، ابن قتيبة.
٣١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني.
٣٢- نسب قريش، مصعب الزبيري.

الفهرس

هـــذا الـــرجـــل	.....	٥
المـقـــدمـــة	.....	٧
الـفـــصـل الأول:	أسرة سعيد بن العاص في الجاهلية والإسلام	١١
الفـــصل الـثـــاني:	أخبار سعيد بن العاص مع النبي ﷺ، ومع عمر بن الخطاب رضي الله عنه .	١٧
الفـــصل الـثـــالث:	أخبار سعيد بن العاص مع عثمان بن عفان رضي الله عنهما	٢١
الفـــصل الـرابع:	أخبار سعيد بن العاص مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ...	٢٩
الفـصـل الخـامس:	أخبار سعيد بن العاص مع بني هاشم وآل علي كرم الله وجهه	٣٣
الفـصل الســادس:	جوده رضي الله عنه وبعض ما روي عن أخلاقه	٣٧
	أولاً – أخباره في الجود والسخاء	٣٧
	ثانياً – إكرامه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	٤٥
	ثالثاً– كراهته للخصومة، وتركه المنازعة	٤٥
	رابعاً – إكرامه لجلسائه	٤٨
الفـصل الســابع:	بعض ما روي من جوامع كلِمهِ، وبلاغته	٥١
الفـصل الـثـامن:	أخبار سعيد بن العاص مع الشعراء	٥٥
	أولاً – أخباره مع الحطيئة	٥٥
	ثانياً– أخباره مع الفرزدق	٦١
الفـصل الـتـاسع:	وصيته لولده، ووفاته، وبعض ما قيل فيه	٦٣
الفـصل الـعـاشـر:	أولاده وأزواجه، وبعض أخبارهم	٦٧

	أولاً – ذكرُ أولاده	٦٧
	ثانياً– بعض أزواج بناته	٦٩
	ثالثاً – بعض أخبار أولاده	٦٩
الخـــــــاتمـــة:	.....	٨٣
المـصـــــادر والمراجـع:	.....	٨٥
الـفـــــهـــــرس:	.....	٨٧